روايات عبير



مارجري هيلتون

قبل أن ترحل



قبل أن ترحل

١٥١

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 151

قبل أن ترحل

القصص المثيرة تحدث في الحياة لأن الحب لا يكف عن المحاولة، محاولة الهامنا اله العاطفة العليا بامتياز. وانه في الأخير، هو الأمر الناهي رغم كل شيء. بطلتنا هذه المرة تجد نفسها في سنغافورة حيث ينتظرها شلال من المفاجآت. والدها يعاني من محاولات الابتزاز والتهديد على يد رجل يعمل واياه في شركة واحدة. الآنسة كيت تريد التوصل الى الحقيقة، مدى تورط والدها، أو على الأقل حقيقة الأسباب الكامنة وراء التهديدات والابتزازات. هكذا وجدت نفسها وكأنها استيقظت في غابة من الأسئلة مزروعة بالأفخاخ والمطبات، مجبرة على تلبية دعوات رجل الابتزاز او مضطرة لمسايرة براد شريدان، المفتش الذي انتدبته الشركة للتحقيق في سر الانتهاكات، يحاول استمالتها بطريقة او بأخرى وهو يتظاهر لها بالحب والمودة. تكرهه وتحبه في آن. تحبه لأنه يجسد في احلامها، وتكرهه لأنه يريد تحطيم حياة والديها. اين الحقيقة؟ هل يوقفها الحب قبل ان ترحل؟ هل...؟ اسئلة، اسئلة.

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE BEACH OF SWEET RETURNS

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ـ هل يأتي الحلم الجميل؟

هدأت العاصفة او كادت. هكذا كانت توحي الاجواء في الخارج. فقد تبددت الغيوم الكثيفة السوداء، وبدأت اشعة الشمس تظهر من خلالها، والمطر الغزير اصبح رذاذاً، والرياح المجنونة تهب ناعمة خفيفة كالنسيم، ورشحت مياه السطح عبر المزراب الى ارض الحديقة، فبدت اشجار الليمون والبرتقال مثقلة بالثمر ومياه المطر التي تراكمت عليها.

واختلطت اشباح كل تلك المناظر المنعكسة عبر مزيج من الضباب الخفيف ونور الشمس الباهت بشبح صبية واقفة خلف شباك البيت، حيث كانت تراقب العاصفة وهي تلفظ انفاسها الأخيرة، والطيور الحائمة فوق الحديقة، والحشرات الهائمة على وجهها تبحث عن زاوية تحطّ فيها الرحال، وتصغي الى اجنحة العصافير وهي تقوم بمناورات رائعة، وحفيف اوراق الشجر وقطرات المياه المتساقطة عن الاغصان والاوراق الى الارض، لتغور فيها وتنضم الى اخواتها التي سبقتها في المسيرة الى الينبوع.

ويبدو ان الاجواء السائدة في الخارج قد اعجبت الآنسة كيت اذ امضت فترة وهي واقفة هناك كما لو انها تحضر محاضرة شيقة عن عوامل الطبيعة وثورتها، الى ان اوشكت الشمس على الغروب، فخفت حدّتها، وتحول لونها البلوري الساطع الى لون برتقالي مريح للنظر. كل ذلك والسيد براد شريدان جالس في الداخل ينتظر

والدها ليعود كي يقابله لأمور تتعلق بالعمل. لم يكترث لما كان يجري في الخارج، الى ان خطر بباله ان يقوم بحركة ما للترفيه عن نفسه قليلاً ريثما يعود والد الآنسة كيت. فنهض عن كرسيه وراح يمشي ببطء وهو يتطلع حوله بحذر ليباغت كيت قبل ان تنتبه لوجوده وتفقد المفاجأة بهجتها والمتعة التي يتوقعها منها. وقد حالفه الحظ اذ كانت كيت مشغولة بمداعبة فراشة جميلة حطت على كتفها، فاقترب منها، وربت بيده على كتفها من الخلف وسألها:

ـ يبدو لي انك لا تخافين من شيء، يا كيت، أليس كذلك؟

فاستدارت مذهولة لترد عليه بلهجة صارمة:

ـ اذا كنت تسأل لمعرفة ما اذا كنت أخاف من العاصفة فجوابي هو لا. العاصفة لا تخيفني.

قالت ذلك وهي تبتسم لاخفاء شعورها بالخوف والتظاهر بالشجاعة لمواجهة التحدي الذي ابرزته ملامحه فيما كان يضغط بأقصى قوته على كتفيها ويقول:

ـ ما كنت اقصد العاصفة فقط يا كيت!

ـ احسنت، احسنت، يا براد! انني اعرف ماذا تقصد.

فردّ عليها وهو يمعن في الضغط على كتفيها:

ـ حصانتك الذاتية عجيبة وغريبة، يا كيت. ما هو السرّ؟

تأملته قليلاً وقد أرخت ذراعيها ثم اجابته ببرودة أعصاب:

ـ ما كنت ادري ان للحصانة الذاتية اسراراً. حسب خبرتي، الانسان يكسب مناعته الذاتية بفضل الألم. وهناك من تكون مناعته مصطنعة. أيها تعني؟

ـ لا هذه ولا تلك لأن مناعتك الذاتية من نوع مختلف وأنا مقتنع بأنها أصيلة وراسخة الجذور.

ـ وهل يعوزك الاقتناع؟

ـ نعم يعوزني خاصة اذا كان الأمر يتعلق بالمرأة. عفوك يا كيت اذا كنت لا أثق بك.

ـ وهل يجب عليك ان تثق بي؟

ـ كلا هذا ليس ضرورياً. لكن أمرك العجيب يحيرني.

قال ذلك وسكت يتأمل ملامحها التي توحي بالحذر وشرود الذهن. ثم تابع قائلاً بلطف وكياسة:

ـ برأيي ان علينا معاملة بعضنا معاملة الندّ للند. تصوري يا كيت انني خلال بضعة ايام تعرفت على معظم رواد نادي السباحة واكتشفت ان اعضاء الجالية الاوروبية في ماهور لا يختلفون عن اعضاء الجاليات الاوروبية الاخرى في طول القارة وعرضها.

اجابته باستخفاف:

ـ وكيف وجدتنا؟ لا شك انك اكتشفت حقيقة طباعنا المطبوعة بالضجر والسأم، أليس كذلك! اذا نجحت أخشى ان يسهّل عليك هذا الاكتشاف عملية اكمال معلوماتك الشخصية!

ـ لست افهم قصدك.

ـ ما قصدت شيئاً، صدقني!

ـ بل، ولماذا التهرب من الحقيقة؟ يكفي سماع نغمة صوتك الدرامية للاستنتاج بأنني عميل لوكالة المخابرات الاميركية او لسواها.

وردت عليه متجاهلة روح الفكاهة التي أضفاها على كلماته:

ـ أجل، يتراءى لي أن الاعمال التي تمارسها تنسجم، الى حدّ ما، مع مبادىء هذه او تلك.

ـ كلا، لا ابداً! انت غلطانة، يا كيت. انصحك بالكف عن المواربة.

ـ آه، ظننت أنك انتهيت من الاستجواب!

ـ كلا، لم انته بعد.

قال ذلك واقترب منها ثم شدّ يدها بعنف وهو يقول بحدّة:

ـ لا يزال أمامي مجال لاكتشاف اشياء كثيرة.

وقفت الآنسة كيت حيال هذا الموقف الشديد التأزم تفكر بمخرج

مشرّف يحفظ لها ماء الوجه، ويخفف من حدّة هذا الوضع المحرج للغاية الذي جرّها اليه. كانت تعرف أنها تواجه خصماً لا يمكنها قهره بسهولة، أو الافلات من قبضته القوية وليست امامها وسيلة للهرب. الوسيلة الوحيدة تكمن في انصياعها لارادته، وقد باتت تعرفها الآن. فاذا كان قصده سيئاً فسوف يكون نصيبه الخزي والعار، اما اذا كان حسناً فقد يكون ذلك بداية لصداقة قد يكتب لها ان تتطور مع الزمان الى علاقة زوجيّة، متينة الروابط، نبيلة الهدف. وظلّت تقارن وتفكر الى ان انتهت الى القرار بأنها مستعدة لمسايرته اذا كان غرضه شريفاً، والاّ فانها ستقف بوجه جميع الاغراءات والتهديدات بحزم وقوة.

غير ان الآنسة كيت، رغم المأزق الذي تواجهه، ورغم تفكيرها بمعاملته باللين سواء عاملها هو باللين او بالقسوة، لم تتردد في التعبير له عن حقيقة شعورها نحوه والمنزلق الغامض الذي يحاول جرّها اليه من خلال مجاملاته السمجة ومداعباته الثقيلة الظلّ اذ صارحته القول بأنها ليست من طينة اولئك الفتيات اللواتي ينجرفن وراء عواطفهن انجرافاً عابراً، وانذرته بضرورة التفكير طويلاً قبل ان يتمادى في تصرفاته، والاّ فانه لن يجني سوى الندم.

وغني عن القول ان موقفها الجريء هذا كان له اثره البالغ في نفسية السيد شريدان، اذ نهض وهمّ بمغادرة المنزل وهو يتمتم بانفعال:

- اجل، سأعود لمقابلة والدك صباح غد.

غير انها استمهلته ريثما ينهي فنجان الشاي، على الأقل.

لم تكن هذه التجربة الاولى من نوعها التي تعرّضت لها اذ سبق لها ان مرّت بتجارب عديدة مماثلة، راجهت خلالها شتى انواع الاطراء من قبل الشباب المعجبين بجمالها اثناء قيامها بعملها كعارضة ازياء، دون ان تتزحزح قيد أنملة عن الخط المستقيم الذي رسمته لحياتها.

عاد شريدان وجلس لاكمال شرب الشاي، وما لبث حتى عاود

تعليقاته، بين الفينة والفينة، كأنه مصمّم على النيل منها، بطريقة أو بأخرى، رغماً عن ارادتها. وظلّت الحال على هذا المنوال لغاية ان بلغ نفورها منه حدّاً لا يطاق، فنصحته بالذهاب والعودة غداً لأن والدها سيتأخر طويلاً في العودة الى البيت بسبب الأجواء العاصفة المخيمة على البلدة ووجوده في منزل السيد مارلو لتناول العشاء معه.

بيد ان السيد شريدان، خلافاً لمحاولته السابقة مغادرة المنزل ساعة نصحته بضرورة الذهاب والعودة في اليوم التالي لمقابلة والدها، ارتأى الانتظار بحجة انه ليس مرتبطاً بأية مواعيد سابقة. ولا يضيره ان لم يعد والدها الى البيت حتى الفجر. قال ذلك وهو يبتسم بعيداً عن أي اثر للغضب او الانفعال.

ثم نهض ومشى ببطء نحو باب الشرفة فأسدل الستارة وقبض بيده على سقاطة الباب، ثم استدار وقال لها:

- لن اغادر المكان الا بعد ان توافقي على الخروج معي. فما رأيك؟

- انك تضيع وقتك بدون فائدة.

- هكذا يظهر لي.

- اجل! وماذا بعد؟

- لا، ابداً! اخبريني، ياكيت، هل ستذهبين معنا في رحلة نهاية الاسبوع؟

- لم أقرر بعد.

- لم لا! أخائفة انت من شيء ما؟

- خائفة؟ أنا؟ لا شيء يخيفني ساعة انوي الخروج.

قالت ذلك بعصبية ظاهرة، ثم تناولت قنينة المرطبات وجرعت منها قليلاً ولسان حالها يقول: ترى، متى يتوقف السيد شريدان عن متابعة هذا الجدل البيزنطي! اوف، الحديث معه اشبه بمناطحة سور الصين.

وهنا عادت بها الذاكرة الى السعادة التي غمرتها ليلة عودتها الى

هذه الديار الشرقية، بعد غياب طويل، امتدّ الى خمس سنوات، قضتها في لندن حيث كانت تشتغل بصورة منتظمة، وتعيش حياة حافلة بالرفاهية والبحبوحة. وشهدت انتقالها من مرحلة المراهقة الى سنّ الشباب، فضلاً عن النجاح الذي حققته، بحيث مضت تلك السنين كلمح البصر دون ان يؤثر كل ذلك، ولو بمقدار حبة الخردل، على صحبتها لوالديها. وتمنّت الآن وهي تواجه السيد شريدان، ان لا يؤثر تأففها وتبرمها منه على شعورها بذاك السرور المقرون بعطف عارم لاحياء العلاقة الودية الحميمة التي كانت قائمة بينها وبين والديها قبل رحيلها الى لندن، والتمتع برؤ يتهما يتبادلان العواطف الزوجية المبنية على أسس لا يرقى الشك الى نقاوتها واصالتها ومصداقيتها. وزاد في سرورها مشاهدة التغييرات الكثيرة التي طرأت على البلدة اثناء غيابها.

لا شك ان الآنسة كيت سافرت للعمل في لندن بموافقة ورضى والديها، وبدون ان يراودهما اي شعور بالقلق عليها، وذلك نظراً لوجود عمتها ريتا هناك، المعروفة بمحبتها لها واندفاعها لمساعدتها كلّما كانت بحاجة للمساعدة.

ولئن عادت الآنسة كيت الى المنزل العائلي الآن، نزولاً عند رغبة والدتها الذاهبة الى انكلترا لاجراء عملية جراحية لعينيها، فان من السابق لأوانه القول ما اذا كانت الاواصر العائلية الحميمة، خاصة بين كيت ووالدتها، قد طرأ عليها اي تغيير بسبب الفترة الطويلة التي عاشتها كيت في لندن بعيداً عن العائلة. ذلك كان ما يشغل بال كيت ويدفعها لاختباره خلال الثلاثة شهور التي ستمكثها هنا اثناء غياب الوالدة، للاهتمام بشؤ ون البيت وتوفير الراحة لوالدها. والحقيقة ان قلقها كان في محلّه، اذ سبق لوالدتها ان عبّرت في رسالتيها الاخيرتين لها، وان بصورة مبطنة، عمّا يساورها من ظنون حول امكانية انجرافها مع تيار الحياة في تلك الديار البعيدة، ومدى انغماسها في عالم اللهو والصخب.

ولعل موافقة كيت للعودة الى منزل والديها، بدون اي تردد او تذمر، ورفضها عرضين هامين ومغريين للعمل قبل مغادرتها لندن ببضعة ايام، من شأنهما ان يبددا كافة الظنون التي تدور في مخيلة والديها حول تصرفاتها الشخصية هناك. ما يهمها الآن هو ان تقوم بواجباتها نحو والدها، وتبعد عنه شبح الوحدة والوحشة اثناء غياب والدتها عن البيت. وحسبها ان ما ستفعله لأجله، ناهيك عن وجودها شخصياً معه وبجانبه، سيكون من شأنه ازاحة الهموم عن كاهل والدتها، وتخفيف حدة المخاوف التي تراودها بشأن والدها الحبيب، رغماً عن انف السيد شريدان.

وفي سياق هذه التصورات، تذكرت احداث الرحلة الأولى التي قامت بها برفقة والدها الى نادي السباحة في ماهور، والسرور الذي راوده وهو يمشي بجانبها مشبعة الاعتزاز بجمالها. وتذكرت ايضاً لقاءها الأول بالسيد شريدان، وكيف انها تمنت، حالما تعرفت عليه، لو انها سبق وتعرفت عليه في لندن. وراحت تندب حظها على ما فاتها من الأوقات الممتعة برفقته لو كتب لذلك اللقاء ان يتحقق في لندن. اما هنا، في هذه الديار المعروفة بعاداتها المحافظة، فلا مجال للمغامرة او التورط معه في اية مجازفات عاطفية، اولاً لأن اوضاع والدها العملية تحول دون ذلك، وثانياً لأن تصرفاته الهوائية بعد اللقاء فضحت حقيقة نواياه، وتركت لديها انطباعاً بانه ابرع من يتقن ويمثل دور المخادع.

ثم تصورت السيدة ايلين، والأرملة الشابة فاي سلزبور وشكرت الله على عدم تورطها في مغامرة عابرة. وكم هالها مشاهدة السيد شريدان وهو يطارد بنات الجنس اللطيف، بنفس الطريقة التي استعملها معها حين راح يتصرف كالمتيم الولهان. ومع انها لم تنكر ما يميز السيد شريدان عن غيره من الشباب من جاذبية وقدرة على مصادقة النساء والسيطرة على مشاعرهن وارادتهن، فهي ترفض ان تعلق بشباك من هم على شاكلته. يكفيها ما آلت اليه حالتها بعد

الصدمة التي اصابتها من سوء التفاهم بينها وبين حبيبها الأول السيد كين لستر، الذي اقحم نفسه في حياتها واستهواها لدرجة انها فتحت له قلبها، ليتخلى عنها ويتجاهلها، لا لشيء الا لأنه لا يختلف عن السيد شريدان في شيء البتة من حيث العجرفة والمكابرة ومطاردة النساء سعياً وراء اشباع نزواته واهوائه العاطفية، بلا وازع ولا رادع من ضمير. وقالت لنفسها: اذا كانت ايلين وفاي مستعدتين لارضاء نزوات واهواء امثال هؤلاء الرجال فهذا شأنهن وحدهن ولا شأن لي في ذلك على الاطلاق، فأنا لست مستعدة ابداً للانجراف في مثل هذا التيار الخسيس. وما دام السيد شريدان يعرف حقيقة نفسه، فلماذا يا ترى لا يتركني وشأني!

كانت الآنسة كيت غارقة في كل تلك التصورات والتخيلات دون ان تلاحظه يتأملها وهو جالس بالقرب منها، الا بعد ان سألها:

- ما الذي يشغل بالك، يا كيت؟

- لا شيء. وهل يجب ان يكون هناك ما يشغل بالي!

- مجرد سؤال.

- وانا جاريت عليه. وماذا كنت تتوقع جوابي ان يكون؟ هل كنت تتوقع ان ابوح لك بأسراري وهمومي الشخصية؟ ما رأيك يا مثير المشاكل الجديد في ماهورا

- انت تعرفين حق المعرفة أنك تظلمينني، يا كيت. كل ما في الأمر انني مكلف بتصحيح الأوضاع الشاذة والسيئة السائدة في قطاع ماهور.

- هكذا! وما شأني انا بذلك؟ بالكاد اتصور وجود اية علاقة لي بالمشاكل القائمة في ماهور، خيالية كانت ام حقيقية!

- انا لم اقل شيئاً من هذا. ما يدهشني هو رؤية صبية مثلك تتردد في التحرر من سيطرة والدها.

- قول سخيف ومضحك لا يستحق مجرد التعليق عليه ولو بكلمة واحدة.

- كذا! ربما كان العكس هو الصحيح.

- فرضية تافهة وسخيفة.

قالت ذلك واستدارت وهي تصرخ بانفعال ظاهر:

- لا انا حارسة والدي، ولا هو حارسي!

وصمتت تفكر بعدم الانسياق وراء ما يستدرجها اليه لاثارتها وارباكها والسيطرة على اعصابها. ثم تابعت تقول بهدوء ورزانة:

- اسمع يا سيد شريدان! الاسبوع الماضي سافرت والدتي الى انجلترا لاجراء عملية جراحية حساسة في احدى عينيها، تاركة والدي وراءها لوحده في البيت منذ زواجهما الطويل. اما انا فعدت الى البيت بعد غياب خمس سنوات لقضاء اجازة طويلة مع والدي. وامامنا امور كثيرة للبحث والمعالجة، ولدينا رغبة اكيدة وثابتة في تعزيز الروابط العائلية بيننا.

- استبعد ان تكون الناحية الاخيرة من محاضرتك قد خطرت ببالك قط.

- بل، خطرت ببالي واوليتها الاهتمام الذي تستحقه فور وصولي. اجل، لست افهم سبب اهتمامك بذلك.

- حسناً، فهمي شؤون جميع العاملين في شركتي.

- ولكن انا لست موظفة، لا في شركتك ولا عندك.

- هذا صحيح. ولكن لا تنسي ان والدك يعمل في الشركة مثله مثل السيد مارلو.

عضت الآنسة كيت شفتيها من الدهشة وهي تفكر بالدافع الذي جعله يقحم السيد مارلو في الموضوع، ثم نهضت ومشت نحو الطاولة متثاقلة من التعب والارهاق، فوضعت فنجانها الفارغ عليها واستدارت نحو من باتت تعتبره مصدر قلقها وخاطبته بحدة:

- ما معنى كل هذا الاستجواب الذي لا يعدو كونه تدخلاً مفضوحاً في شؤوني الشخصية! اذا كان الموضوع يهمك الى هذه الدرجة، واذا كنت لا تستطيع الانتظار حتى تقابل والدي لبحثه معه، فما عليك الا

الاتصال بالسيد مارلو لتسوية الأمور بينك وبينه.

ـ ما هذه الفكرة الرائعة، يا كيت!

ورفع حاجبيه صعوداً ونزولاً من الدهشة ثم تابع يقول:

ـ انا مستعد للذهاب لعند السيد مارلو برفقتك.

ـ كلا، انا لا اريد الذهاب معك لعند مارلو.

ـ اظنك ترفضين الذهاب لعنده لأنك لا تحبينه.

ـ هذا شيء لا يعنيك، يا براد.

واشاحت وجهها عنه، فلحقها حتى ادركها ووقف امامها وجهاً لوجه وقال مراوغاً:

ـ يبدو لي انك تحاولين استغلال مفاتنك الى اقصى حد ممكن، أليس كذلك يا كيت!

ـ تباً لك، يا براد، اتوجه الى مكتبه لمجرد رفض دعوة غير مرغوبة؟

ـ انت السبب. . . انك تتصرفين بطريقة غير معقولة.

فهزت رأسها من العجب وكأنها تفكر بعدم توريط نفسها معه في معركة مجهولة النتائج. وردت قائلة:

ـ ارجوك يا براد ان لا تذهب بعيداً في تخيلاتك. صدقني ان السبب الوحيد الذي يحول بيني وبين قبول دعوتك والتجاوب مع رغبتك كوني تعبانة جداً وبودي النوم باكراً.

هز رأسه هو الآخر ولكن بطريقة توحي بانه لم يصدقها. وظل صامتاً برهة قصيرة وهو يحدق فيها، ثم سألها:

ـ اخبريني، يا كيت، هل هناك ما يشغل بال والدك؟

ـ على حد علمي ليس هناك ما يشغل باله سوى صحة والدتي وترقب عودتها الى البيت بعد اجراء العملية الجراحية. هل تعتقد بوجود اي شيء آخر يقلق باله؟

ـ لو كنت اعرف لما سألتك!

ـ هنيئاً لك خيالك الواسع يا براد!

وهزت كتفيها استخفافاً عدة مرات، ثم تناولت علبة السكاير واخذت منها سيكارة لنفسها واشعلتها بالقداحة. ثم ابتسمت له في محاولة منها لتلطيف الأجواء، وتابعت تقول بنعومة وبرود اعصاب:

ـ عن اذنك، يا براد. . . اني ذاهبة لأنام. اذا شئت انتظار والدي حتى يعود، اهلاً وسهلاً، واعتبر البيت بيتك. انا متأكدة انه لن يتأخر كثيراً.

فرد عليها وهو يهز رأسه:

ـ لا شكراً، لن ابقى الا بناء لدعوة ملحة منك.

ثم جمع اوراقه وحملها بين يديه، وهب واقفاً وذهب في طريقه نحو الباب وهو يتمتم:

ـ اذا لم ارجع الليلة ارجوك ان تخبري والدك بانني جئت لمقابلته.

ـ حاضر، سوف اخبره اذا كنت واعية ساعة يعود، والا سأخبره في الصباح.

تأملها السيد شريدان قبل ان يرد عليها وهو يتنهد بعمق:

ـ لا بأس من كتمان الخبر حتى الغد. شكراً. والى اللقاء. . .

وخرج. وقفت الآنسة كيت تراقبه من الشرفة حتى وصل الى سيارته. اشعل اضواءها الأمامية وادار المحرك ثم انطلق بها ببطء وهو يلوح لها بيده مودعاً. وظلت تراقبه حتى غاب الضوء الخلفي الأحمر عن انظارها، فدخلت الى البيت وهي تتساءل بدهشة طغت على اعتزازها بصمودها الرائع والجريء بوجه جميع المحاولات التي قام بها خلال ساعات الانتظار المحرجة: ماذا يقصد يا ترى بامكانية كتمان الخبر حتى الغد!

دخلت واقفلت الباب ثم توجهت الى الصالون لتلهي نفسها بجمع الأواني الوسخة ونقلها الى المطبخ، على ذلك ينسيها ما بقي من آثار الحيرة والالغاز التي خلفها وراءه السيد شريدان. غير ان شبحه ظل ماثلاً في ذهنها، وصدى كلماته المشحونة بالتهديد والالغاز ظل يتردد في اذنيها. فظلت عرضة لشتى المخاوف والانفعالات النفسية.

ثم ما لبثت ان انتقلت الى المكتبة حيث راحت تتسلى بمراجعة عناوين الكتب واسماء المؤلفين، دون ان تتمكن من ابعاد تلك التصورات والانفعالات عن خيالها. ظلت تشعر بانها اسيرة عباراته المبطنة بالتهديد والوعيد والغموض، ومداعباته السمجة وتحرشاته، وبخاصة لأنها جاءت في وقت غير مناسب، رغم ارادتها.

ومع ذلك، فقد انحت باللائمة على نفسها لأنها لم تعطه الفرصة الكافية للتصرف معها بالحرية التي كان يريد. وقالت لنفسها: كان علي ان اتصرف نحوه بطريقة اكثر انفتاحاً وتسامحاً. ولكنني، بتصرفي معه على النحو المذكور، اضعت الفرصة الوحيدة التي يمكن ان تتيح لي استشفاف الاسباب الحقيقية الكامنة وراء مجيئه الى ماهور. وجعلته يتصرف نحوي بمنتهى الحذر والتحفظ.

وهنا تجهم وجهها وتصاعدت حدة انفعالاتها اذ تذكرت الرسالة التي وردت الى الشركة، والتي تضمنت خبر وصول السيد شريدان قريباً الى ماهور. وهو خبر اثار في حينه ردود فعل مختلفة بين موظفي الشركة. الموظفون الشباب سرهم الخبر. والموظفون القدامى الذين لا يشكلون سوى نسبة ضئيلة من مجموع العاملين في الشركة، دهشوا وارتبكوا. والموظفون الذين يقفون بين بين، استقبلوا الخبر بتعليقات لاذعة حول بعض الذين يحتلون مناصب عالية في الشركة ويتباهون بانهم من اهل العلم والخبرة وهم ابعد الناس عن هاتين الميزتين. ومع ذلك، لم يكن عدد الذين يعرفون حقيقة مجيء السيد شريدان الى ماهور، يتجاوز عدد اصابع اليد.

بيد ان جميع الذين كانوا يجهلون سبب مجيء شريدان كانوا يعرفون انه امضى حياته وهو يعمل في مجال زراعة وصناعة المطاط، اذ كان والده يملك مزرعة للمطاط في الملايو. وقد تولى ادارتها هو بنفسه لمدة خمس سنوات بعد ان انهى دراسته، وقبل ان يلتحق بخدمة شركة ماهور لاتكس. وها هو الآن في الثانية والثلاثين من عمره، وقد اصبح ملماً بكافة اسرار هذه المهنة. ولا ينقصه سوى

تكييف نفسه للعمل بكفاءة ومهارة في ظل التطورات التي تشهدها السياسات والتكنولوجيا الخاصة بعالم المطاط، وما اكثر هذه التطورات.

ومن غريب الصدف ان الآنسة كيت والسيد شريدان ينتسبان الى بيئة متشابهة من حيث العادات والتقاليد والأهواء، الأمر الذي جعلها تشعر بالاطمئنان الى تحقيق نوع من التفاهم المتبادل بينهما، بعد ان تعرف حقيقة موقفه من اوضاع المزارع الخاصة القديمة.

من المعروف ان تلك المزارع الشاسعة والشاملة آلاف الاشجار المنتجة للمطاط يديرها رجل واحد. اما اليوم فان الأوضاع تختلف عما كانت عليه سابقاً، يوم كان والدها يشرف على ادارة مزرعة من ذلك النوع كان يملكها السيد مارت مارلو، والد السيد والت مارلو. وتذكرت بمرارة تلك العلاقات الحميمة التي كانت تربط بينهما، لا سيما وقد تجاوزتها الاحداث القائمة حالياً والتغييرات التي حصلت في اعقاب الحرب ونيل الاستقلال.

وتذكرت كيت في ما تذكرته السنوات التسع الأولى من طفولتها التي عاشتها في منزل يقع بالقرب من الفيلا التي بناها العم مارت، كما كان يحلو لها ان تناديه، يوم احضر زوجته الثانية الشابة الى ماهور. وتنهدت وهي تحاول النظر الى الماضي بمنظار تصوغها عبر الضباب الذي يشوش عليها رؤية ذكريات الطفولة بوضوح.

ثم قفزت في خيالها صورة ليلى دانتون التي لم تمكث هنا سوى فترة قصيرة، والتي اختفى اثرها دون ان يتوصل احد لمعرفة حقيقة فشل زواجها. البعض قال ان ليلى كانت اصغر بكثير من ان تستقر مع رجل يوازي عمره ضعف عمرها، وأين؟ في مزرعة بعيدة جداً عن مرافق الحضارة، تختلف الحياة فيها اختلافاً كبيراً عن الحياة التي كانت تحياها في سنغافورة. وقال البعض الآخر انها واجهت صعوبات كثيرة وهي تحاول ان تكيف نفسها للتعايش بسلام مع ابن زوجها الصغير السن، فلم تنجح. وذهب بعضهم الى القول بانها

تزوجت السيد مارت كي تنقذ نفسها من جبروت والدها وتسلطه عليها، ومن والدة لا يهمها في الحياة سوى التهافت على استمالة الرجال. واذا بها تجد نفسها في وضع يزداد سوءاً مع كل يوم. واجمع الكل على القول ان زواج ليل من مارت، لم يكن زواجاً موفقاً، بغض النظر عن جميع الاسباب والدوافع.

وهذا باختصار حقيقة ما حدث لليل بين الفترة الممتدة من مغادرتها للمنزل الزوجي لغاية القاء نفسها في البحر. بعد الاحتفال بعيد الميلاد الرابع عشر لابن زوجها والت، جمعت حوائجها الشخصية وتركت البيت لتنزل في الفندق الوحيد الموجود في ماهور لمدة يومين. وما ان انتشر الخبر في البلدة حتى اصبحت هدفاً لشتى الأقاويل والاشاعات المغرضة، منها ما دار حول وجود صاحب لها فنزلت في الفندق لملاقاته بعيداً عن الانظار. ومنها ما دار حول وصول صديق قديم لها ونزوله في الفندق المذكور فذهبت لاحياء حب دفين، وما الى ذلك من شؤون وشجون. ومهما يكن من امر تلك الاشاعات وحقيقتها فان سر اقدام ليل على النزول في الفندق بقي لغزاً. وغني عن القول ان تلك الاشاعات تركت اثرها العميق في نفسية ليل لا غادرت الفندق في اليوم الثالث وهي ترتعش من العصبية والانفعال. وانطلقت بسيارتها نحو مرتفع صخري يطل على البحر، حيث القت بنفسها هي والسيارة الى البحر، ولم يتمكن احد من انتشالها. اما زوجها فقد تلقى خبر هذه المأساة بأعصاب هادئة، وحزن عميق.

ومع ان الآنسة كيت كانت طفلة في ذلك الحين، فان صورة ليل بقيت حية في خاطرها، ليس فقط بتأثير الطابع المأساوي لنهايتها، وانما بدافع معاملتها الحسنة لها، اذ كانت بين الوقت والآخر تقدم لها الهدايا الجميلة.

وهكذا غيب الموت الغامض وجه صبية ينبض قلبها بالحيوية والنشاط، ويطفح وجهها بالابتسام، رغم ما تخلل حياتها من الخطأ والصواب، لتبقى عرضة للتهامس بين الناس والتعبير عن حزنهم

ودهشتهم وحيرتهم في آن.

يبقى والت مارلو الذي تتذكره الآنسة كيت بوضوح، وتعتبره الغيمة الوحيدة التي تشوش عليها صور ذكريات طفولتها السعيدة. تشعر بالنفور منه، هكذا كان شعورها نحوه عندما كانت طفلة. وهكذا تشعر نحوه الآن، رغم احياء الصداقة بينها وبين والت، بعد مرور سنوات عديدة على ذلك الحادث المفجع.

وما لبثت ان قطبت حاجبيها دهشة وعجباً عندما تداخلت مع ذكرياتها الجارية صورة ذكرى سفرها الى بريطانيا للعيش مع جديها، وكان والت في السابعة عشرة من عمره. وفكرت بانه لا شك اصبح في الثالثة والثلاثين من عمره الآن، مثله مثل السيد شريدان، ولكنه يبدو كأنه يكبره بعشر سنوات. وتساءلت بدهشة عن كيفية هدره جميع الأموال التي ورثها من والده، وعن فشله في بيع مزرعته لشركة ماهور لانكس رغم مرور خمس سنوات على وفاة والده.

ثم هزت رأسها عدة مرات وهي تفكر بدهشة لمعرفة اسباب المضايقات التي وضعها والدها امام السيد والت، دون ان يردعه عن ذلك وجود صداقة قديمة وحميمة بينهما. ويبدو ان هذه الذكرى الهبت مشاعرها. اذ هبت واقفة واسرعت الخطى نحو زاوية الهاتف وكأنها تشعر ان القيام بأي عمل يمكن ان يساعدها للتغلب على هذا القلق النفسي الذي تشتد وطأته عليها كلما تواصلت الذكريات. ولكنها اصيبت بخيبة امل من جراء العطل الذي الحقته العاصفة بخطوط الهاتف. فعادت الى المكتبة لالهاء نفسها باعادة قراءة الرسالة التي وصلتها من والدها ذلك اليوم.

وكم كانت دهشتها عندما تأكدت من المخاوف التي عبرت عنها والدها في رسالتها الأخيرة. وهي مخاوف لا علاقة لها البتة بالعملية الجراحية التي ستجرى لها، ولا بالقلق الذي يراود قلب كل امرأة تضطر تحت وطأة الظروف احياناً لترك زوجها واولادها يتدبرون شؤون حياتهم اليومية بانفسهم لفترة من الزمن. ولا بامكانية او عدم

امكانية حصول ابنتها على اجازة طويلة تقوم خلالها بادارة شؤون المنزل والعناية بوالدها متطمئن بالاً على حسن سير الأمور اثناء غيابها عن البيت. ولا لمجرد قلقها على زوجها الذي تعرف تماماً انه قادر على تدبير اموره بنفسه بسهولة.

وبعد ان عجزت عن ادراك كنه المخاوف التي تساور نفس والدتها او استشفاف مصدرها، وضعت الرسالة امامها وبدأت قراءتها للمرة الثانية.

«سررت جداً بمشاهدة الاصدقاء القدامى رغم الطقس البارد المخيم على بريطانيا الآن. لقد قابلت الطبيب صبيحة هذا اليوم فأكد لي بان عمليتي ستكون ناجحة مئة بالمئة. وسره وصولي في الوقت المناسب. صحيح انني لم افارقكم الا منذ يومين تقريباً، غير انني اشعر كأنني فارقتكم منذ سنوات. لا يمكنكم ان تتصوروا كم انا متشوقة لسماع الاخبار السارة عن كيت ومعرفة ان جميع الأمور تجري على خير ما يرام، وعلى النحو الذي اتمناه. الرجاء ان تخبروني عما اذا كان الرجل الجديد يضايق احداً. لماذا ارسلوه؟ انا لا افهم الدوافع الكامنة وراء مجيئه الى ماهور ما دامت الأمور تسير سيراً حسناً. هكذا كانت قبل قدومه، ولا اتوقع لها ان تتغير....»

وما ان انتهت من قراءة الرسالة حتى احضرت قلماً وورقة، ووضعتها امامها تمهيداً للبدء بكتابة الجواب عليها. جلست تفكر وتفكر، وتقلب الأمور من جميع جوانبها. ثم بدأت تتساءل: ما هو الشيء الذي يقلق والدتي؟ ولماذا تتوقع حدوث بعض المشاكل والمتاعب؟ انه ليس الا قطباً من اقطاب الصناعة الجدد.... والظروف اليوم غيرها في الأمس. ولم يعد من الجائز التعرض لمبدأ التقدم او نقده. كما ان ادارة مزرعة صغيرة خاصة شيء، وادارة شركة ضخمة شيء آخر. فعدد العاملين فيها الآن اصبح اضعاف عدد العاملين في الماضي، بالاضافة الى الاساليب الحديثة، وخطط التوسيع. لماذا تتجاهل حقيقة ان والدي يحتل منصب مدير في هذه

الشركة؟ يجب ان اذكرها بكل هذه الأمور، واصحح لها المعلومات التي تكونت لديها عن السيد شريدان واطمئنها بأنه ليس مكلفاً بمهمة اثارة المشاكل، وانما هو مكلف للعمل بجد ونشاط، وجمع المعلومات، وتقديم الاقتراحات والتوصيات، والقيام بكل ما من شأنه ان يبرر وجوده هنا...

وبهذا المعنى كتبت الرسالة وختمتها بأحلى عبارات المودة والمحبة والاطمئنان. ثم نهضت وذهبت لتأخذ لنفسها حماماً بارداً يخفف عنها حدة الحر الشديد المشبع بالرطوبة، ولسان حالها يقول: لو اللدي ملء الحرية في السهر مع السيد والت حتى الفجر، فأنا لست وصية عليه.

الا ان والدها لم يطل السهرة عند السيد والت تلك الليلة، كما توقعت، اذ صادف وصوله الى مشارف المنزل لحظة خروجها من الحمام. وما هي الا لحظات حتى اصبحت تسمع وقع اقدامه يتردد في الجو خافتاً ومتقطعاً كما لو ان صاحبها يلتزم اقصى درجات الحذر في مشيه، مما اثار الخوف في نفسها من ان يكون القادم شخصاً ينوي القيام بعمل خسيس او السطو، تحت جنح الظلام، فتمنت لو انها لم تسمح للخادم بالخروج لمقابلة خطيبته.

ومما زاد في مخاوفها ان تلك الاصداء لم تكن ترداداً لشتى الارتعاشات المألوف سماعها اثناء الليل في المناطق الاستوائية. والمعروف انها تسمع بصورة متواترة، بينما كانت الاصداء التي تتناهى الى مسامعها تسمع تارة ثم تخبو، لتعود وتسمع بوضوح ثم تخبو لتعود وتسمع متقطعة ومتثاقلة، وهكذا دواليك، حتى اصبح صداها يدوي في اذنيها، فأيقنت ان القادم اصبح على قاب قوسين من باب المنزل. فركضت مسرعة نحو النافذة وفتحتها لتجد نفسها واقفة امام شبح والدها وهو يتلمس الخطى في الظلام، وتصرخ بوجهه وهي ترتعش من الخوف والرعب:

- اهذا انت يا ابتاه! لماذا تمشي بخطى متثاقلة ومتجرجرة! حسبت القادم لصاً فرحت ابحث عن البلطة لأدافع بها عن نفسي. من

حسن حظك انني لم اجدها، والا لكان حدث ما لا تحمد عقباه.

قالت ذلك واطلقت قهقهة عالية وطويلة وهي جامدة في مكانها والدهشة تشع من عينيها، فيما اقترب منها والدها وهو يعتذر لها قائلاً بحنان:

- آسف جداً على ما سببته لك من ازعاج وخوف، يا ابنتي الحنونة. سامحيني! كنت احاول الا ازعجك في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل.

- ولا يهمك، يا ابتاه! وانا ايضاً، لسوء حظي، كنت في الحمام فلم اسمع صوت سيارتك وهي قادمة.

صمتت لحظة تتأمله بشغف ورقة ثم تابعت تقول:

- هيا ادخل يا زائر الليل! لحظات واحضر القهوة لنشربها معاً.

- عظيم، عظيم، يا كيت!

اخذ ينزع رباطه، فيما ظلت هي واقفة تتأمل قسمات وجهه التي بدت آخذة في التجعد والترهل وعكست لها ملامح كئيبة تصورتها انعكاساً لما يتفاعل في داخله من شعور بعقدة الذنب. وتمنت في قرارة نفسها ان لا يكون ذلك نتيجة لتعاطيه الميسر مع السيد والت. لكنها استبعدت ذلك لأنها كانت تعرف ان والت اضعف بكثير من ان يجر والدها الى ممارسة لعبة مكروهة وممقوتة، خاصة وان والدها كان يمتاز بصلابة الارادة وسمو الاخلاق، بدليل ان صديقه والد والت اوصاه بأن يهتم بأمور ولده بعد وفاته، ويوجهه الى ما فيه خيره وفائدته في المستقبل.

استدار السيد مريفال نحو ابنته، وسألها:

- كيف حالك الليلة، يا كيت؟ كان بالي مشغولاً عليك.

قال ذلك وجلس يتأملها بحنان ويفرك وجهه بيده وكأنه يحاول ان يزيل عنه اثار التعب والارهاق، ويصغي لصوت ابنته تقول:

- انا بخير والحمدلله. وانا ايضاً كنت قلقة عليك بعد ان تأخرت في الرجوع الى البيت. ولم اتمكن من اجراء اية مخابرة هاتفية

للاطمئنان عنك بعد ان قطعت العاصفة جميع الاسلاك. أبي، لماذا ترتعش! اتخشى ان تنتقل اليك عدوى فساد الاخلاق من السيد والت.

- لا، لا يا ابنتي الحبيبة، اياك ان تتفوهي بمثل هذا الكلام. لا تسيئي الظن فقليل من سوء الظن اثم. كل ما في الأمر ان السيارة تعطلت وتوقفت في وسط الطريق فقضيت وقتاً طويلاً احاول اصلاحها حتى انهكني التعب.

- الحمدلله على السلامة! كنت امزح والآن انا ذاهبة لتحضير القهوة.

ومرت من امامه وهي تطبطب على وجهه بيدها الناعمة.

كان والدها لا يزال جالساً دون ان تغيب ملامح الارهاق عن وجهه. وقت عادت وهي حاملة صينية القهوة بين يديها لتقدم له فنجانها، فتناوله وهو يتمتم بصوت مترجرج مقرون برنته الطريفة المعهودة:

- سلمت يداك يا خير من يزيل هم نفس عجوز مثلي.

ثم سكبت لنفسها فنجاناً وجلست قبالته ترتشف منه وهي ترقبه بشغف فيما كان يشرب القهوة بسرعة كعادته وهي ساخنة، وتعض شفتيها من الدهشة عندما لاحظت، بما لا يقبل الشك، ان والدها آخذ في الهرم. ومع ذلك، لم تقتنع بان ملامح هرمه كانت نتيجة للهرم الطبيعي الذي يطال الانسان بعد فترة معينة من حياته. لا سيما ان والدها كان لا يزال في الثالثة والخمسين من عمره، وهو عمر لم يعد يعتبر رمزاً للشيخوخة او الكهولة، هذه الأيام. اخيراً، استفاقت من ذهولها فرفعت رأسها وسألته بصورة مباغتة:

- هل هناك ما يشغل بالك؟ يا والدي!

حدق فيها جيداً كمن يمعن في القراءة لاستشفاف معنى الكلمات الحقيقي الكامن وراء السطور، وهو يهز رأسه ويضحك قبل ان يرد عليها متسائلاً بدهشة لا تقل عن دهشتها:

- أنا؟ شيء يقلقني انا؟ لا ابداً. لماذا تسألينني، يا كيت؟
- سألتك لمجرد ان تقول لي ما اذا كان هناك اي شيء يشغل بالك غير حالة امي الصحية.
- اجل، قلت لك ان لا شيء يشغل بالي ابداً.
وصمت وهو يبتسم ويفكر بمدى النجاح الذي حققه في التغلب على عنصر المفاجأة الذي داهمته به باسئلتها المحرجة، ثم تابع قائلاً:
- لا يوجد ما يقلق بالي ويرهقني سوى انهماكي بالعمل المتواصل وغلاء المعيشة.
كادت هذه التوضيحات ان تلحق بها الهزيمة لو لم يكن هناك ما يحثها على المضي قدماً في الحديث معه، فتأملته ثم اجابته:
- آه، لم اقصد ذلك. كان من الطبيعي ان استفسر عن حالتك واتوقع منك ان تكشفها لي بصفتي ابنتك. الا تريد ان تخبرني؟ اجل، سألتك لمعرفة ما اذا كنت تشكو من حالتك الصحية، او من صعوبات تواجهها في العمل، او من مضايقات يضعها السيد شريدان بوجهك. على فكرة، جاء السيد شريدان الليلة يريد مقابلتك.
- صحيح؟ وهل كان هو ايضاً مشغول البال علي؟
هزت كتفيها ومطت شفتيها وهي مندهشة من اللامبالاة التي يبديها والدها حيال الاسئلة التي طرحتها عليه حتى الآن، ثم ردت عليه! قائلة:
- لم يقل لي شيئاً، وانما استنتجت من سياق حديثه انه يحمل في جعبته شيئاً ما لا يبعث على الارتياح...
وصمتت تفكر وتتأمله لحظة ثم تابعت تقول:
- اذا كان هناك ما يستوجب الكتمان، فلا مجال لكتمان الاسرار بيننا. هل نسيت يا والدي؟ لم نألف هذه العادة في البيت. ارجوك ان لا تخلق سابقة لكتمان الاسرار عن بعضنا بعضاً. همومنا كانت دائماً مشتركة، أليس كذلك؟

- صحيح يا كيت، الحق معك. ليس بيننا اسرار. ولكن ارجوك ان تمهليني حتى يوم الاثنين القادم. اريد منك ان لا تسأليني شيئاً على الاطلاق، لا عن العمل ولا عن الامور الغامضة التي تتفاعل في نفسية السيد شريدان لئلا تعكري علينا صفاء الرحلة التي سنقوم بها خلال عطلة نهاية الاسبوع. مفهوم؟
- اجل! ومن قرر القيام بهذه الرحلة؟
- الكل. كلهم ذاهبون لقضاء عطلة نهاية الاسبوع في نادي السباحة الجديد الذي حدثتك عنه. هل نسيت؟ وقد وافقت على المشاركة في الرحلة.
قال ذلك وصمت يتأملها ليرى ماذا سيكون رد فعلها، ولما وجدها لم تحرك ساكناً، سألها:
- هل تفكرين ببرنامج آخر لقضاء العطلة الاسبوعية؟
- كلا، ولكن...
فقاطعها وقال:
- لكن ماذا؟ علام كل هذا التردد. هل نسيت كيف كنت تتلهفين على الذهاب الى الشاطىء وخاصة مسبح الدكتور. لقد كنت ارغب منك ان تقصديه فور وصولك الى هنا.
هنا سطعت البهجة من عينيها اذ استيقظت في خيالها ذكريات الطفولة، ايام كانت تذهب الى شاطىء الاحلام برفقة والدها لتسبح وتغطس في الماء، وتسرح وتمرح فوق رماله الناعمة، وهي ذكريات لا امتع ولا اروع في نفسها. كانت تتردد في اعطاء قرارها بالموافقة او عدم الموافقة على الاشتراك في الرحلة الوشيكة خشية ان تطغى بعض المفاجآت والمغامرات العاطفية هناك على الذكريات الممتعة البريئة التي ما زالت تحملها في اعماقها. وما لبثت حتى استجابت لسؤاله بالقول:
- علي الا اشترك في رحلات من هذا النوع... رحلات ستكون حافلة بالمغامرات العاطفية التي لا تحقق لاصحابها الا مزيداً

من الأوهام.

وقاطعها والدها ليقول بلطف وهدوء:

- كل شيء باقٍ على حاله، يا كيت. البحيرة ما زالت تحافظ على جمالها الطبيعي، اذ ان موقع نادي السياحة الجديد لم يؤثر عليه بشيء.

- ما قصدت ذلك.

وتنهدت بعمق ثم اردفت قائلة:

- الأمور، كل الأمور، تبدو مختلفة كلياً الآن.

- من الطبيعي ان تختلف. كل الأمور تبدو دائماً مختلفة بالنسبة الى عمر الانسان. ولكن هذا لا يعني حرمان ولد الانسان او ذاك من الشعور بمتعة متساوية، بطريقة او بأخرى.

- لا، لا اظن انني سأشعر بالمتعة ذاتها التي كانت تراودني يوم كنت اسبح على الشاطىء القديم. لن انسى جماله الطبيعي الساحر، ولا المتعة التي كانت تغمرني وانا اقفز واركض على امتداده واتصور نفسي الطفلة الوحيدة في العالم. هل تذكر تلك العاصفة التي هبت فجأة ذات يوم وارغمتنا على اللجوء الى بيت جدرانه الخارجية مرصوفة باصداف البحر هرباً من شرها وطغيانها؟ حدثني عنه يا ابي! وعن تلك الفيلا البيضاء كالثلج.

فهز رأسه وهو يفكر ويتأملها بدهشة، ثم رد عليها قائلاً:

- البيت موجود ولكنه مهجور. لقد هجره الدكتور ليم بعد وفاة زوجته. الاعشاب تغطيه من كل صوب. اصداف اللؤلؤ المتنوعة الاشكال والألوان، جمعتها فيكتوريا زوجة احد المزارعين، والصقتها على الجدران واحدة واحدة... تصوري! يومذاك، كان عمرك ست سنوات، ومع ذلك كنت تطمحين بالعيش في منزل الدكتور ليم. طيب الله ذكراه كم كان يداعبك ويلاطفك... هل تذكرين؟

فردت وهي تبتسم له ابتسامة عريضة:

- وهل يمكن ان انسى مثل هذه الذكريات الحلوة! تسائل يجفي اذا

نسيتها، يا اعز والد في الوجود. ولكن ارجوك الا تحكي لأحد شيئاً عن ذكرياتي هذه حرصاً على حلاوتها وطرافتها. مفهوم!

وصمتت وهي تتأمله وتهز رأسها بدلال. ثم سألته:

- هل تعتقد انني سأشعر بنفس السعادة التي كانت تراودني وانا اسرح وامرح على شاطىء النادي القديم عندما كنت طفلة، بعد التغييرات التي طرأت على الزمان والمكان؟

- ولم لا؟ لست ارى ما يحول بينك وبين شعورك بالسعادة اليوم...

- هل انت متأكد، يا ابتاه؟

- طبعاً، طبعاً، اذ ان السعادة لا تقاس بمقياس الزمان والمكان... وانما هي شعور نابع من مصادر شتى لا حدود لها.

- وما في ذلك التفرج على الازواج والعشاق يتبادلون النظرات الحالمة واحاديث الغزل، على مرأى من انظار الكبار والصغار؟ كلا، يا والدي، لا يمكن اعتبار مثل هذه المشاهد المخزية مصدراً للسعادة. انا لا اريد الذهاب لتمضية عطلة نهاية الاسبوع هناك لأنني لست في وارد مشاركة احد من الرجال، لا والت، ولا شريبان، ولا من يجرؤون، حياته الصاخبة. ارجوك يا والدي ان تفهمني.

تأملها طويلاً وهو يبتسم ويلاطفها لتهدئة اعصابها قبل ان يرد عليها بقوله:

- جاء دوري انا لأسألك عما يشغل بالك. ما بك ثائرة على الرجال؟ وما الذي يقلقك؟ اخبريني ولا تخفي عني شيئاً، يا كيت. انت اغلى واسمى ما عندي في هذه الدنيا. ما الذي غيرك من حال الى حال؟

- لا شيء، انا لم اتغير ابداً و...

فقاطعها ليقول:

- بل تغيرت بعد الذي حصل بينك وبين كين. واأسفاه على فتاة واعية وعاقلة مثلك ترزح تحت وطأة حادث بسيط، وان كان

مؤسفاً يجعلها تحتقر جميع اصناف الرجال وتنفر منهم. اذا كنت لم تنسجمي مع السيد والت فهذا لا يعني نهاية الرجال او نهاية العالم. كما لا يليق بك ان تظلي ترفضين الدعوات التي تأتيك من هنا وهناك. برضاي عليك يا عزيزتي، عودي الى سيرتك السابقة وكفي عن الظهور بمظهر المتكبرة والمتغطرسة. هكذا اصبح الناس يتحدثون عنك كلما خطرت ببالهم.

- هذا ليس صحيحاً. كلا، انا لست متكبرة. فأنا ارفض هذه الدعوة او تلك لأن من حقي ان ارفض كل دعوة اراها غير مرغوبة.

- وما رأيك بعزلة نفسك عن العالم! وماذا يهم اذا صدف وخان احد الرجال العهد، او قلب لك ظهر المجن، او طعنك في الظهر! هذا وغيره لا يبرر سلوكك طريق العزلة والوحدة التي تسلكينها. ومع ذلك، فهذا لا يعني انك بريئة مما جرى لك حتى الآن. قد تكونين شريكة في ما جرى، من يدري!

وكان هذا الكلام بمثابة صدمة اصابتها في الصميم، ربما لأن والدها فاجأها بكشف جميع الأوراق التي يحملها في جعبته ووضعها امامها على الطاولة. لكنها كتمت شعورها بالصدمة وظلت محافظة على اعصابها. وردت عليه بلطف ونعومة:

- لم اكن اتصور ابداً ان رسائلي تركت لديك كل هذا الانطباع عن مدى تأثير كين علي. صدقني يا ابي انني على عكس ما تراني.

- انت ابنتي، وهل يعقل ان لا يعرف الأب ابنته على حقيقتها! الحقيقة ان توقفك عن عدم ذكر اسم كين جعلني اعتقد بأن الأمور ليست على ما يرام بينكما، ولكنني لم افاتح احداً بهذا الموضوع. واهم من ذلك، صارت رسائلك اللاحقة ترد الينا خالية من اي ذكر للجنس الخشن. وانما لم يخطر ببالي انك اصبحت متشائمة الى مثل هذا الحد الا بعد عودتك الى البيت. بصراحة، هذا كل ما عندي.

وبما انه لم يسبق للآنسة كيت ان اشتركت في حديث طويل وشامل كهذا، وما تخلله من كشف للحقائق تارة، وتبسيط للأمور

طوراً، فقد اعتصمت بحبل الصمت تجاه ما سمعته يجري اخيراً على لسان والدها، وهي تفكر وتفكر الى ان انتهت الى القول:

- صدقني يا ابي، انني لم اتغير بقدر ما تتصور. ولا انا متحجرة ولا متقوقعة على نفسي. كل ما في الأمر انني احاول حماية نفسي من هذا العالم المجنون كما يجدر بكل فتاة ان تفعل هذه الأيام. المهم، كان الحديث شيقاً وممتعاً لأنه كان يدور عليك...

وقاطعها قائلاً:

- وعلى عطلة نهاية الاسبوع ايضاً.

ثم هب واقفاً وصار يتمطى ويتثاءب، ويطبطب على خدها بنعومة، دون ان يعاتبها او يلومها ولو بكلمة واحدة، الى ان خاطبها وهو يبتسم:

- لا تيأسي، يا عزيزتي، لا بد للحظ ان يطرق باب قلبك مرة ثانية في يوم من الأيام.

وهكذا انتهى نقاشهما بسلام، فذهب كل منهما في طريقه الى غرفة نومه، يراودهما الأمل برؤية حلم جميل.

٢- الشاطىء المسموم

وصلت الآنسة كيت الى نادي السياحة لتجد الشاطىء يعج بالمدعوين وهواة السباحة. الصديقان شريدان ومارلو والمطلقة الشابة فاي، وايلين وزوجها ركس وتود كانوا مستلقين على الرمال الناعمة بثياب السباحة. وما ان لمحوها حتى بدأ كل منهم بثرثرتهما، فبادرها شريدان مداعباً:

- اهلاً، اهلاً بحلوة الحلوات! أهكذا دوماً تتعمّدين لتخيبي الآمال لبعض الوقت لتعودي وتنعشيها بظهورك المفاجىء!

وتبعه والت ساخراً:

- الفتح امتياز تحتكره النساء يا رجل، ولكن قليلاً من ملح الاطراء والمديح يقلب الامور رأساً على عقب... ولا تعجبن من ذلك اذ ان الاطراء هو اكسير الحياة بالنسبة الى الجنس اللطيف.

وهنا تدخلت السيدة فاي تعلّقت على قول هذا الأخير وهي تضحك ضحكة صفراوية:

- الملح هو للطعام، يا...

فقاطعها والت ليقول لها متهكماً:

- اجل، ذكّريني به غداً كي اعطيك بعض الدروس في فن الطبخ.

كل ذلك والآنسة كيت صامتة تصغي الى كل تلك الثرثرة الساخرة واللاذعة في آن دون ان تبالي، وكأن الأمر لا يعنيها.

وسرعان ما راودها الشعور بالندم على المجيء بعد ان كانت مصممة على الرفض.

كان الطقس رائعاً، والبحر هادئاً والشاطىء في منتهى الروعة والجمال. والاشجار الخضراء الوارفة المحيطة بكل جوانبه تزيده جمالاً على جمال، والنسيم يرطّب الاجواء وينعش النفوس بجماله الناعمة.

تنهدت الآنسة كيت بارتياح وهي تستعيد ذكريات الطفولة من خلال المشاهد الطبيعية الرائعة الباقية على حالها. وقد زاد في ارتياحها ونشوتها رؤية ان المقصورات الجديدة المضافة الى النادي الجديد لم تؤثر على جمال الشاطىء، وان التضاريس الطبيعية الممتدة الى الشاطىء المقابل حيث الذكريات مجبولة بكل حبة رمل من رماله كانت لا تزال تنعم بجمالها الحالم المغمور.

ولئن كانت مدعوة الى قضاء عطلة نهاية الاسبوع في هذا النادي الجديد الا ان مشاعرها كانت ترنو الى ذاك المسبح القديم، وتحرق لهفة لاستعادة ذكرياتها وانعاشها باللعب والقفز ولو للحظات يسيرة فوق رماله. وكم كانت دهشتها وهي تتطلع اليه من بعيد عندما لمحت بناء المستوصف القديم وحتى زوايا منزل الدكتور ليم الذي هجره بعد وفاة زوجته، وغيرهما من بقايا الاماكن والمواقع الحافلة بذكريات طفولتها البريئة. فخالتها تناديها للعودة اليها وربط خيوط ذكريات كادت تنقطع بفعل مرور الزمن، ذكريات لا اروع ولا امتع، لا تحمل في ثناياها سوى البراءة والوداعة، وابعد ما تكون عما يختلج في صدور الوافدين الآن الى نادي السياحة الجديد من هواجس تدفعهم للسعي والبحث عما يشبع الاهواء والرغبات العابرة.

وما لبثت ان قطعت حبل تأملاتها والذكريات لتهتم قليلاً بالحاضر وتشارك رواد النادي مرحهم والعابهم، وتفكر بأن الوقت الآن هو للراحة والاستجمام وليس لاربابك النفس بأحلام الماضي او لمضايقة موظفي الشركة الذين لبوا الدعوة للراحة والترفيه عن انفسهم. ولا

شيء، يدعوها لاشعارهم بما كان يجول في خاطرها من الذكريات او لاعطائهم اي انطباع عن كونها غير مرتاحة للاختلاط بهم بصورة طبيعية. ثم صارت تتطلع الى المنبطحين على الشاطىء، وتتأمل كل واحد منهم بمفرده، قبل ان تقرر المدى الذي ستذهب اليه في تعاملها واختلاطها مع هذا او ذاك.

فماذا كانت نتيجة تأملاتها الفاحصة تلك؟ الانطباع المبدئي الذي تكوّن عندها عن السيدة فاي هو انها انسانة قريبة الى القلب، جذابة ولكن مملّة، مشهورة بتصرفاتها البريئة، ذات صوت رخيم، مولعة بهندامها والرجال، تركز اهتمامها بحثاً عن الرجل المناسب كي تتزوجه وتنعم معه بحياة هادئة، صريحة وصادقة مع نفسها والآخرين، ذكية ولكن سطحية الافكار.

أما ايلين زوجة السيد ونتون فقد استنتجت انها شديدة الحساسية والسلبية في تعاملها مع بنات جنسها، ذات جمال رائع ولكن من النوع الصارخ، ميّالة الى المشاكسة والمخاصمة، قليلة الاهتمام بشؤون زوجها واحترامه بالمقارنة مع ما تبديه من اهتمام واحترام نحو غيره من الرجال الذين تسعى للتعرف عليهم ومصادقتهم، ربما رفع من قدر الزوج في اعين معارفها وقلل من قدرهم واحترامهم لها. وسرعان ما جاءها الدليل على صحة ذلك عندما شوهد الزوجان يتخاصمان وهما يسبحان على مرأى من الجميع، لدرجة ان السيدة فاي لم تستطع لجم لسانها عن التعليق على ما كان يجري بينهما بقولها:

- من حسن حظها انني لست زوجها والا كنت اعلّمها درساً لن تنساه طيلة حياتها في الاخلاق والآداب. مسكين انت يا سيد ونتون!

ولا غرو في ذلك، فالجميع كانوا يحبون السيد ونتون، ويحترمونه، ويعطفون عليه، ويتعاطفون معه. فقد كان هادىء الطبع، حلو المعشر، رفيع الاخلاق، لا يعوزه شيء البتة سوى معرفة كيف يتعامل مع هكذا زوجة ويروضها كي تعود عن غيّها وتصرفاتها الطائشة لتصبح زوجة مطيعة، عاقلة، ورصينة.

والغريب انه في الوقت الذي كانوا يركزون حديثهم على تصرفات ايلين الشاذة نحو زوجها، كانت حدّة المخاصمة بين ايلين وزوجها في البحر ترتفع لدرجة جعلت فاي تهاجم ايلين بضراوة، وتلصق بها أقبح النعوت والأوصاف، وتعد باعطاء زوجها جائزة على ضبط اعصابه وعدم مجاراتها في سلوكها الشائن، ولسان حالها يقول: ويا لها من امرأة تافهة... يجدر بها ان تواري نفسها خجلاً وخزياً لمجرد تغاضي زوجها المسكين عن خروجها مع الشباب الخارقين في التفاهة حتى قمم رؤوسهم.

وهنا تدخل السيد شريدان لينصحها بالتقليل من حماسها في الدفاع عن الرجال.

عند هذا الحدّ اكتفت الآنسة كيت بما رأته يجري امامها من المشاهد المملّة. ثم استدارت صوب السيد شريدان المنبطح على الرمل وهو مغمض عينيه كأنه لا يبالي بالمناقشات والتفاهات الجارية هناك. وشعرت بالمرارة تحزّ في نفسها وهي تلوم نفسها للمرة الثانية على المجيء الى الشاطىء. وفكرت بان أفضل ما تستطيع فعله الآن، ما دامت قد جاءت، هو الابتعاد عن هذا الجو الصاخب، وتمضية الوقت في السباحة لوحدها، ولكنها لم تكد تقف على قدميها حتى شاهدت شريدان يفتح عينيه ويسألها:

- وأنت ايضاً ذاهبة!

- نعم، انني ذاهبة.

- هكذا تذهبين بدون كلمة وداع واحدة!

- وهل هذا ضروري؟

قالت ذلك ونهضت وهي تركض بسرعة نحو البحر دون ان تلتفت الى الوراء. ثم قفزت في الماء واخذت تسبح بعيداً عن الشاطىء.

وغني عن القول ان الآنسة كيت كانت شديدة الثقة بنفسها، اذ كانت سبّاحة ماهرة قادرة على البقاء مدة طويلة في عرض البحر

بفضل قوة عضلاتها وصلابة جسمها وإرادتها. وبدافع شعورها هذا كانت مطمئنة الى عدم قدرة السيد شريدان على اللحاق بها لمتابعة تعليقاته، نظراً لما كانت تعرفه عنه عندما كان صغيراً من بطء في الحركة، والابتعاد عن ركوب المغامرات البحرية خوفاً من كلاب البحر. ومع ذلك ظلت تسبح وهي تراقبه بحذر مخافة ان تكون الايام والسنين قد غيّرته وجعلته مغامراً جريئاً، دون ان تنسى مراقبة السيد والت أيضاً ويحذر يفوق حذرها من شريدان. اذ كانت تشعر بالخوف منه كلّما راودتها ذكريات الطفولة والمضايقات التي كانت تتعرّض لها على يديه وهو يطاردها ويغطس رأسها في الماء.

وما لبثت تسبح بعيداً عن الشاطىء حتى وصلت الى مشارف تلك البحيرة الطبيعية التي طالما تمتعت بالسباحة ضمن ضفافها الرملية، ومياهها الضحلة، عندما كانت تأتي الى البحيرة برفقة والدها اثناء طفولتها. وعندها صارت تخفف من سرعة سباحتها كي لا تضل الطريق في هذه المنطقة المشهورة بكثرة صخورها المرجانية وتشعباتها الخطرة، وفجواتها الكثيرة التي تربض فيها زواحف بحرية سامة لا تخلو وخزاتها من خطر الموت اذا صدف ووطأت قدم الانسان عليها بدون ادراك.

ويحن لذكريات الطفولة فيا احلاها على قلب كل انسان تراوده كلما وجد نفسه في المكان الذي تشده اليها. هكذا شعرت الآنسة كيث عندما وصلت الى منطقة تلك الشعاب المرجانية. وصارت تتصوّر نفسها لابسة ثوب السباحة الذي اهداها اياه والدها بمناسبة عيد ميلادها التاسع، فأنستها هذه الذكرى ثياب السباحة التي استهلكتها فيما بعد خلال مرحلتي المراهقة وسنّ الرشد، بحيث صارت تغطس في الماء وتخرج، تسبح وترتاح، تقفز وتقفز، لتنفض الماء عن وجهها، وتعصر شعرها، وهي على أحلى ما يكون من الفرح والمرح والذكريات الحالمة.

ثم هدأت عن الحركة لترى ما اذا كان باستطاعتها رؤية النادي

الجديد من هناك، فلم يظهر لها منه سوى سطوح مقصوراته وقمم أشجار النخيل المحيطة بها. ثم تحركت الى الامام ومشت بمحاذاة الضفاف الرملية، تنقل خطواتها بمنتهى الانتباه والحذر لتفادي الاصطدام بالنواتىء الصخرية الحادة، عملاً بوصية والدها. وكم كانت مسرورة عندما اكتشفت ان ارضية البحر ناعمة وخالية تماماً من التشعبات الصخرية الخطرة، ومن أي اثر لحوريات البحر التي طالما سمعت عنها وهي صغيرة. فزادت ثقة بنفسها وشعوراً بالاطمئنان.

وتابعت سيرها حتى وصلت الى حدود تلك البركة الطبيعية، حيث استعادت ذكريات لا أروع ولا امتع من ذكريات الطفولة. وراحت تعيد تمثيلها بشوق لا يضاهيه شوق، اذ كانت تقفز وتغطس، وتخبط الماء بيديها لتعود وتغطس في الماء مسافة طويلة، تخرج بعدها الى سطح الماء لتنفض قطرات الماء عن وجهها وشعرها، وهي تتنفس ملء رئتيها، وتضحك، وتغرف الماء بيديها لتصبه على رأسها وتراقبه بشغف وهو ينساب بين تقاطيع وجهها وكتفيها وذراعيها.

الا ان هذا الشعور بالحرية المطلقة غير المقيدة بأي قيد من قيود المجتمع لم يدم طويلاً. اذ بارحها عندما تراءى لها شبح شيء ما لم تتأكد من طبيعته بعد، يغوص في الماء على مسافة قريبة منها، ثم يظهر ليعود ويختفي من جديد، مما أثار الذعر في نفسها من أن يكون ذلك كلباً بحرياً يقوم بمناورة استعداداً لمهاجمتها. مع ذلك، حافظت على رباطة جأشها كي تتمكن من التفكير بما يسهّل عليه مواجهته وتفادي خطره، وهي تستبعد وجود كلاب البحر في هذه البقعة الهادئة خاصة ان كلاب البحر اذكى من ان تخوض مغامرة الانتقال في حركتها الى المياه الضحلة، حسبما كان والدها يحدّثها. ومهما يكن، وجدت ان من الأفضل والأسلم لها ان تبتعد عن دائرة الخطر، اذ لعل الشبح الذي لمحته قبل لحظات، كان فعلاً شبح احد الكلاب البحرية.

وكم كانت دهشتها، بعد ان وصلت الى تلك الضفة الرملية

الأمنة، عندما وجدت نفسها وجهاً لوجه امام السيد شريدان، فصرخت بوجهه وهي ترتعش وتشهق من الذعر:

- تباً لك، يا هذا! ماذا تفعل هنا؟

- أجل، هذا انا! وهل كنت تتوقعين احداً سواي؟

وانتصب واقفاً أمامها في الماء وهو يرفرف بأهدابه الداكنة، ثم أضاف:

- الآن عرفت كم أنت ماهرة في السباحة!

- صحيح!

- نعم صحيح واكثر! صدقيني أني لم اقصد بك شراً حينما حاولت الامساك [illegible] المستوفز، وانما قصدت مداعبتك ليس [illegible] غيّرت رأيي [illegible] في اثارتك ورعبك.

- سحقاً! تباً لك من تافه وأبله.

كانت لا تزال تعاني من آثار الصدمة وترتعش وتشهق، وتفكر بالويل الذي كان سيحل عليها لو انه انصاع لنزوته الطائشة وامسك برجليها بينما كانت غاطسة في الماء.

تأملها طويلاً ثم اجابها:

- [illegible] الأمور يا كيت! وصفيني بأبشع النعوت بدلاً من ان تشكريني لأن ذلك الشبح كان شبحي وليس شبح السيد والت.

- كذا! وهل تظن السيد والت يسمح لنفسه بالتصرف بمثل طريقتك الطائشة؟ كلا، ابداً! ثم، من تظن نفسك تكون!

كان ذلك كافياً ليفقده اعصابه، اذ اخذ يضيق الخناق حول عنقها بيديه الضاغطتين لدرجة انها كادت تشعر بالاختناق، فأطلقت صرخة مدوية من فرط ما اعتراها من الألم، وهي تتمتم متوسلة كي يرأف بها، وتقول:

- لماذا تفعل بي كل هذا، يا براد! ماذا تريد مني. اتركني، ارجوك ان ترفع يديك عني.

- مرادي ان اراك ولو مرة واحدة غاضبة وثائرة!

- لكن لماذا؟ هل ما فعلته بي يرضيك حقاً!

- الى حدّ ما... لكنني فعلت ما فعلته الآن استعداداً لجولات لاحقة اجني منها رضاك ومودتك وخاصة اقناعك بأمر من الأمور التي تهمني.

- لست افهم ماذا تقصد بالاقناع والاقناع ومدى علاقتها بي أنا شخصياً!

- لا، ابداً، وانما هي غريزة حبّ الاستطلاع التي يشتهر بها معشر الرجال أمثالي.

- لكن حياتي لا تعرف الأسرار... [illegible] واهم، يا براد! لا أسرار في حياتي ولا من يحزنون.

- [illegible] يا كيت، حياتك كلها أسرار... وحسبك منها ما يحيّر العقول بين ما اراك عليه من سذاجة وحيوية وعاطفة بالمقارنة مع ما تظهرينه من برودة اعصاب ونظرات صاحية امام عدسات المصورين...

- يا لها من تخيلات مثيرة للضحك والسخرية! لم اتصور قط أنك خيالي الى هذه الدرجة يا براد، الا بعد ان سمعتك [illegible] هذه الأجواء الوهمية.

- وماذا أقول عن صفاتي الاخرى التي تجهلينها والتي انصحك بعدم البحث فيها لئلا تصابي بصدمة قوية يا كيت!

- هيا يا سيد شريدان! دعك من كل هذه السخافات التي لا تهمني اطلاقاً!

- انتظري اذن لتري كم ستقدرينها في الوقت المناسب وتحترمينها!

- مرحى، مرحى لبراد شريدان! عظيم انت في أقوالك، يا براد!

قالت ذلك وهي تشعر باستعادة هدوئها وسيطرتها على اعصابها بعد كل ذلك الخوف الذي داهمها. فقررت، وهي تقارعه الحجة بالحجة، وترد سهامه الى صدره، قررت الانتقال من موقع الدفاع الى

الهجوم، في محاولة أخيرة لتوجيه ضربة ارادتها ان تكون بمثابة الضربة القاضية. ولكنها اخطأت بالتقليل من شأن منافسها والاعتزاز كثيراً بقدرتها من خلال تصرفاته الآنية نحوها، عندما عمد الى تخفيف حدّة لهجته وهو يرد عليها بلطف وهدوء. وسرعان ما ادركت خطأها، عندما انتهرها قائلاً:

- عندك! قفي مكانك واياك ان تحركي ساكناً او ان تخطي خطوة واحدة الى الامام.

وانقض عليها كالصقر فأمسكها بكلتا يديه. وقفت جامدة في مكانها وهي تشعر بالالم يحز في اعماقها، فيما كان يقول لها:

- ارفعي رجلك [illegible] والآن اخطي خطوة واحدة الى الوراء.

كانت نبرته قوية للدرجة انها لم تستطع الا الامتثال لامره بدون ادنى تردد. فتراجعت الى الوراء، وهي حائرة مما كان يجري حولها.

كل ذلك والسيد شريدان يسندها ويوجه خطواتها، دون ان يتخل عنها ولو لحظة واحدة الى ان استعادت حالتها الطبيعية، واصبحت قادرة على استيعاب الدوافع الحقيقية التي حملته ينقض عليها كالصقر ويجمدها في مكانها، وذلك لينقذها من وخزة افعى بحرية سامة وقاتلة في آن معاً فيما لو تركها تتقدم خطوة واحدة أخرى الى الامام.

وكم كانت رائعة ودقيقة في تجاوبها مع نصائحه لكي تبقى جامدة في مكانها، وهي تشهق وتتنهد وتنتفض وتهذي من فرط الرعب الذي تولاها، مما حدا به الى ملاطفتها بقوله:

- ليس هناك ما يبرر شعورك بالرعب الى هذا الحد بعد ان رأيناها وتجاوزنا خطرها. اصبحنا في مأمن من شرّها. ولا يبقى عليك الآن الا التراجع الى الوراء بكل عناية وحذر.

وهكذا بدأت تتراجع الى الوراء دون ان تحيد قيد شعرة عن توجيهاته، او ان تصدّه عنها وهو يعانقها بشوق، وانما اكتفت بالهمس في

اذنه:

- ماذا تظن كان سيحدث لي لو انك لم ترها في الوقت المناسب؟

- ارجوك ان تنسيها بعد ان اصبحنا في مأمن من شرّها.

- كانت الشيطانة قابعة بين الصخور تنتظر فريستها. هذه هي المرة الاولى التي ارى واحدة منها. بعد القصص التي سمعتها عنها كان يجب الا امشي حافية القدمين فوق الصخور المرجانية. لكنني نسيت، تباً لي!

قالت ذلك وصمتت بعد ان تعثرت الكلمات في حلقها، وهي ترتجف وتحدق في وجهه، وتفكر بكلمات مناسبة يمكنها بواسطتها ان تعبّر له عن مدى شكرها وامتنانها له، وتحفظ لها ماء الوجه اذا استطاعت ان تلفظها خالية من رعشة الرعب الذي لا يزال يتحكم بها، والا اصبحت هدفاً لسخريته وتهكمه. ثم اطرقت برأسها وهي تقول بلهجة خجولة:

- لست ادري كيف اشكرك، يا براد! انت...

وقاطعها قائلاً:

- ابنتها العزيزة كيت، سبق وقلت لك ان تنسي ما حدث، وتعطي فرصة كافية كي اجتاز مرحلة الذعر الذي انتابني.

- انت ذعرت؟ هيا، يا براد!

لم يجبها على الفور، وانما راح يلامس ذراعيها بكلتا يديه، ثم قال لها:

- نعم ذعرت... وها انذا احاول جهدي الافلات من حلقة الرعب الذي اصابني بقدر ما اصابك.

قال ذلك وهو يحدق في وجهها المكفهر وفي عينيها اللتين عكستا الهلع مما كان سيحدث.

اقترب منها وعانقها بشوق غريب كأنه يحاول ان يثير في نفسها توازناً بين ذلك الهلع الساطع من عينيها وهذا الشوق الوافد اليها من عمق ذاته. ان ينتشلها من دائرة الشعور بالهلع، لتعود الى ذاتها

الاصيلة. وقد نجحت هذه التجربة اذ سرعان ما خالجها شعور بالابتهاج، وطار شعورها بالخوف وكرهها للسيد شريدان. تخيلت ان كل شيء في هذا العالم عاد القهقرى. وبدت لوهلة كأنها لا تريد بديلاً عن هذا الشعور كأنها تتربع على عرش الطرب الى ما لا نهاية.

وما ان استفاقت من ذهولها وفتحت عينيها لترى ان كان ما تعيشه للحظات خلت حقيقة وليس حلماً عابراً، حتى عادت الى سابق عهدها وبدأت تسحب يديها المرتعشتين عن كتفيه في محاولة يائسة لقطع صلتها بالسعادة التي غمرتها، كما لو انها تقوم بهذه البادرة ليس لمجرد دفع نفسها بعيداً عنه وانما لتجنب شرّ قريب الوقوع. ثم استدارت وتنهدت ملء رئتيها وهي تقول له:

- اعتقد ان من الافضل لنا ان نعود.

- وهل هناك ما يمنعنا من البقاء؟

وبدون ان تلتفت اليه دفعت بنفسها في الماء وراحت تسبح بسرعة لم تعهدها من قبل، خاصة بعد تعبها وشعرت بأنه يحاول اللحاق بها.

وصلت الى الشاطىء المقابل بعد دقائق معدودات وهي تلهث من التعب وترتعش من الخوف. وحاولت الاسراع بعيداً عن اعين الذين كانوا جالسين بالقرب من الشاطىء هرباً من مواجهة فضولهم وسخافاتهم، الا ان السيدة فاي سدّت عليها الطريق، فيما لاح شبح شريدان خلفها، وبادرتها القول وهي تبتسم بفتور:

- الى اين؟ انا لا يهمني معرفة ما حصل بينكما هناك.

- وماذا تظنين فعلنا هناك؟

- لا اعرف، ولا اريد ان اعرف. كل ما في الامر اننا اندهشنا عندما رأيناك ذاهبة ثم لحق بك شريدان مسرعاً دون ان يتفوه بكلمة واحدة كما لو انه . . . اجل، كنا نراقبكما بدهشة لنرى النهاية

ثم اومأ السيد وتتون رأسه بالموافقة وقال:

- بعد ذلك رأيناكما تثرثران ببشاشة فعدلنا عن فكرة ارسال فرقة للانقاذ.

فردّ عليه السيد شريدان يقول بلهجة ناشفة:

- عظيم هو نظرك، يا سيد وتتون! اني اعطيك ستة على ستة.

هنا تدخلت ايلين في الحديث لتقول:

- الحقيقة اننا وقعنا في الحيرة لمعرفة من منكما كان بحاجة للانقاذ.

كانت تتطلع الى الآنسة كيت شزراً بطرف عينيها.

والملاحظ ان الكل ادلوا بدلوهم وبطريقة او باخرى، كما توقعت الآنسة كيت، ما عدا السيد والت، الذي بقي صامتاً وهو يحدّق في وجهها بطريقة غريبة تحمل في طياتها الف معنى ومعنى، مما اخجل كيت وأنطق لسانها بالقول:

- كدت أدعس على أفعى سامة قاتلة.

قالت ذلك وصحت تراقب ركس بجواره بعجب، وايلين تتمتم كلمات مبهمة، وفاي تتنهد وتقول:

- لا شك ان تلك اللحظات كانت فظيعة. وكيف تشعرين الآن، يا كيت؟

وتبعها ركس يشرح الخطر الداهم الذي تشكله افعى البحر على الانسان بمجرد الدعس عليها، وهو يستشهد بحادث تعرض له احد معارفه صدف ان وطأ برجله على شوكتها السامة وكانت الوخزة قاتلة.

وكانت اشارة ركس الى خطر الموت الذي تشكله الافاعي على حياة الانسان كافية لاثارة عطف السيد والت نحو الآنسة كيت. اذ اقترب منها وهو يقول لها:

- ما كان يجب ان تذهبي الى هناك، يا كيت. تعالي واشربي كوباً من الليموناضة.

ثم امسك بذراعها لمساعدتها في الخروج من الماء وهي تتمتم بعد رؤية الباقين يتجمعون حولها وكلهم عيون شاخصة:

- ارجوكم الا تخبروا والدي بما جرى لي.

فردّت فاي:

- لن نخبره، اطمئني.

وتبعتها ايلين:

- المهم هو ان الحادث مرّ بسلام. وعلام كل هذا الفزع! اقصد القول انه كان يجوز لك ان تمرّي من امامها بسلام ودون ادنى خوف لو لم تشاغليها.

- صح! الحق معك.

اجابتها كيت ثم سارت في طريقها الى شرفة النادي، حيث كان والدها جالساً مع أمين الصندوق واثنين آخرين من اصدقائه يشربون الشاي والقهوة معاً، ويتبادلون أطراف الحديث. وما ان وصلت حتى بادرتها السيدة لينا بالقول:

- اهنئك يا كيت على سباحتك الرائعة!

- ابنتي سباحة ماهرة منذ الصغر.

قال والد كيت رداً على اشارة السيدة لينا، ثم وجّه حديثه الى ابنته قائلاً:

- هل وجدت البركة؟

فاومأت له بالموافقة واستدارت لتفاجأ برؤية شريدان يقترب من المكان. وليداهمها التفكير في مسؤولية شريدان عن مدى القلق البارز بوضوح على ملامح والدها. وتساءلت: ترى، هل يكون قلقي انا وقلق والدتي على والدي من نسيج خيالنا؟ وهل يعقل ان يشكل وجود شريدان هنا اي خطر على مستقبل والدي في الشركة؟ ورغم هذه التساؤلات المقلقة، وحرجها على مستقبل والدها، شعرت بنبضات قلبها تتسارع في الخفقان على اثر تذكرها تلك النشوة التي غمرتها وهو يعانقها، بعد ان انقذها من خطر داهم كان سيكلفها حياتها لو لم يسرع لنجدتها وانقاذها في تلك اللحظة الحاسمة. وحوّل بذلك شعورها نحوه، من كره وجفاء، الى مودّة وصفاء.

الاّ ان ضميرها ظلّ يؤنبها بدافع شعورها بالذنب خلال ما تبقى

من العطلة، دون ان يراودها اي شعور بالأسف على ما جرى، ولا على بقائها بمفردها ساعة ودّعها والدها يوم الاثنين ليذهب الى عمله، وهو يبتسم لها وعلامات الارتياح بادية على محيّاه كأنه يريدها ان تشعر بمحبته الكاملة بها. ومع ذلك، لم يتمكن والدها من اخفاء معالم القلق بشكل دائم في عينيه، مما جعل كيت تفكر بأن سبب قلقه ليس مصدره الافراط في العمل او الخوف على حياة والدتها التي كانت ستخضع لعملية جراحية حسّاسة قريباً. وبدت مقتنعة، او شبه مقتنعة بأن هناك شيئاً آخر يشغل باله، بدليل ان والدتها كانت تشاركها الشعور ذاته. وتساءلت في ما عساهما يفعلان لمساعدته في التغلب على قلقه طالما انه يرفض الاعتراف لهما بوجود ما يشغل باله بالمرة. ثم تنهدت والمرارة تحزّ في نفسها، وتوجهت الى المطبخ لتعدّ لائحة بالمواد الغذائية التي يجب ان تشتريها لسدّ حاجاتها المنزلية خلال الايام القليلة القادمة.

لم تطل وحدتها اكثر من بضع ساعات اذ عاد الخادم بيني لمزاولة عمله بعد ان قضى بضعة ايام عند اهله، وزار خلالها خطيبته. وتجدر الاشارة الى ان بيني يعمل في خدمة العائلة منذ سنوات، جنباً الى جنب مع العمّة تونا، يساعد في تنظيف البيت وترتيبه، ويذهب الى السوق، مرة او مرتين في الاسبوع، لشراء لوازم البيت من مواد غذائية واشياء اخرى.

هذا وبدت الآنسة كيت اليوم متحمسة لتركيز اهتمامها على تدبير شؤون البيت، اذ نادت على بيني وطلبت منه ان يحضر بعض القهوة ويأتي بها لشربها معاً والتداول في الأمور المنزلية. وبعد دقائق كانا يتشاوران حول الاغراض التي يجب شراؤها من السوق في ضوء الاغراض الموجودة في غرفة المؤونة، خاصة وان كيت كانت تنوي اقامة حفلة عشاء خلال الاسبوع الجاري. ثم وضعت لائحة طويلة عريضة بالاغراض المطلوبة، واعطت بيني بعض المال، وطلبت منه الذهاب الى السوق لشرائها والعودة بها بأقصى سرعة ممكنة.

وما ان تخرج بيغي من البيت حتى ذهبت كيت الى الصالون حيث جلست تفكر بما عساه سيكون ردّ فعل والدها على قرارها باحياء حفلة عشاء قريباً، بعدما لفت بيغي انتباهها الى برنامج التقشف الذي بدأ بتطبيقه فور سفر والدتها الى بريطانيا للمعالجة.

في المساء، طرحت كيت الفكرة على والدها، فحاول اولاً ان يقنعها بعدم اهمية اقامة حفلات كهذه في بلدة مثل ماهور، التي لا يؤمها سوى عدد قليل من الوجوه الجديدة، بين الشهر والآخر. ثم عاد وسمح لها باقامتها بشرط ان تؤجلها الى الاسبوع القادم، ريثما يعود السيد والت الى البلدة بعد انقضاء زيارة خاصة في الخارج.

وهكذا انتهى الجدال بينهما الى نتيجة لا تبعث على الارتياح الكلي في نفس كيت، التي استدارت دون ان تعلق بشيء على اقتراحه لتأجيل اقامة الحفلة ريثما يعود السيد والت، وتوجهت الى غرفة نومها ولسان حالها يقول: لماذا يا ترى [illegible] والدي [illegible] في كل عرس للسيد والت!

٣ - المفاجآت تأتي تباعاً

بعدما مرت بضعة ايام لم تر خلالها لا السيد شريدان ولا السيد والت، تذكرت الآنسة كيت ما سبق وقاله لها والدها عن الفارق الكبير بين الحياة الاجتماعية الصاخبة والمنتظمة في لندن والحياة الاجتماعية الرتيبة والمشتتة في ماهور، وتأكدت من صحة تلك الاقوال. وهكذا بدأت تعوّد نفسها على التكيف مع هذا النمط الروتيني من الحياة في ماهور طالما انها ستبقى هنا ريثما تعود والدتها من لندن وتتماثل كلياً للشفاء، بعيداً عن الاثارة والمفاجآت. الوجوه التي تقابلها يومياً هي ذاتها، والمناظر الماثلة امامها، والروائح المنبعثة من حرارة المناخ ورطوبته لا تتغير. وليس هناك من يكترث كثيراً لدعوة فلان من الناس الى حفلة غداء او عشاء، لا فرق، او لتلبية الدعوة. الكل يتزاورون كيفما اتفق وساعة يحلو لهم، بدون موعد او دعوة سابقة. وكثيراً ما تجتمع النسوة في بيت هذه او تلك، لتناول القهوة والثرثرة، خلف ابواب ونوافذ مغلقة بوجه شمس الشرق اللاهبة.

حتى ان هواة الرياضة قلما يمارسون لعبة التنس او الغولف، او السباحة، او السباق، بروح التحدي او المنافسة، ليس بسبب افتقارهم الى مثل هذه الروح وانما لأن الطقس الحار هنا يخمد الحركة والنشاط في النفوس، ويجعل الرياضة وسيلة من وسائل التسلية الفارغة يمارسها الرجال والشباب لمجرد قتل الوقت وملء الفراغ.

تلك هي الحياة الجارية والمعاشة في ماهور، حيث لا يجد الناس ما

يتمتعون به سوى الدردشة عن الدكاكين وحالة اسواق المطاط المتردية، وتبادل القال والقيل.

في ظل هذه الأجواء اقامت الآنسة كيت حفلة عشاء ارادتها ان تكون حافلة بشتى الوان الترفيه، من مآكل ومشروب ورقص وطرب وموسيقى، بعد ان دعت اليها جميع الشخصيات المعهودة في مجتمع ماهور، وفي مقدمتهم ايلين وزوجها، وتوم ولينا ماديسون، والسيدة فاي، وشريدان، ووالت وغيرهم. وقد هيأت نفسها لمواجهة كافة الاشكالات المتوقعة اثناء الحفلة استناداً الى خبرتها الحديثة عن تصرفات بعض المدعوين، امثال ايلين التي اصبحت مضرب المثل في المشاكسة مع زوجها، والتودد الى الرجال بقصد التعرف اليهم ومصادقتهم. والسيدة فاي التي سثانى بوفقة شاب جديد تأمل ان تستهويه للزواج منها، والسيد والت الذي تطارده ايلين امام انظار الناس وهو يهرب منها، وما يتخلل تلك المطاردة وهذا الهرب من مشاحنات كلامية لاذعة وساخرة، الى آخر ما هنالك من شؤون وشجون.

كان اول الوافدين الى الحفلة ايلين وزوجها، ووصل بعدهما على التوالي كل من السيدة فاي، وشريدان ووالت وغيرهم. وكانت الآنسة كيت تستقبلهم ببشاشة على الباب. وبعد لحظات اختلط المدعوون بعضهم ببعض، يتبادلون اطراف الحديث والانخاب، بعضهم يدردش ببراءة والبعض الآخر ينتقد هذا او ذاك بدافع التهكم او الغيرة.

ايلين مثلاً لم يعجبها منظر فاي وهي متأبطة ذراع احد كبار العاملين في احدى شركات النفط. وعلقت على ذلك بقولها، على مسمع من الآنسة كيت:

- انها حقاً مقرفة ومبتذلة. لقد آن لها ان تخجل من نفسها عن تصرفاتها الحقيرة وتكف عن مطاردة الرجال منذ لحظة وصولهم الى

المطار.

فردت عليها كيت موضحة بعض الأمور الكامنة وراء تصرفات فاي بطبيعة وظيفتها في دائرة العلاقات العامة، بحيث يقتضي منها استقبال وتوديع الشخصيات الوافدة الى ماهور بدعوة من الشركة. ولا عجب اذا شوهدت بين الحين والآخر برفقة احدهم.

الا ان هذا النوع من الدفاع عن تصرفات فاي لم يقنع ايلين، التي تمادت في الطعن بسلوك فاي ونعتها بأقبح النعوت لدرجة جعلت السيد والت يتصدى لها قائلاً:

- بصراحة، لا مجال لنكران حقيقة ان فاي رائعة الجمال والجاذبية لدرجة اني لن اتردد لحظة واحدة في الموافقة على الزواج منها لدى اول اشارة بقبولها اياي زوجاً.

ومن تظنه سيمنعك عن تحقيق رغبتك هذه؟!

اجابته ايلين بازدراء وسخرية:

تنهد والت وهو يطوق خصر الآنسة كيت بذراعه:

- لا يقف حائلاً بيني وبين تحقيق امنيتي سوى شوق غامر يتعاظم يعود الى ايام الصبا. وكما يقول المثل: ما الحب الا للحبيب الأول... والت ربما لا تعرفين ان كيت رفيقة الطفولة مذ كنا متجاورين.

مطت ايلين شفتيها استخفافاً ثم استدارت وهي تقول:

- هنيئاً لكما اجتماع شملكما بعد فوات الأوان.

قالت ذلك وتركتهما لتذهب وتبحث عن مجال آخر للدردشة. فيما افلتت كيت نفسها من ذراع والت لتستقبل شريدان بعد ان رأته يقترب منها. وبدون ان يقول كلمة واحدة، دعاها للرقص معه على انغام الموسيقى الحالمة الناعمة، لا يؤثر على شعورهما بنشوتها وطربها سوى الجو الحار الخانق الذي يخيم في اجواء القاعة رغم وجود مكيفات الهواء التي بدت عاجزة عن تخفيف حدته.

رقصا طويلاً حتى اذا شبعا من تبادل النظرات التي تعكس

بوضوح بهجة كيت وفرحتها وهي منسجمة مع الموسيقى، تنقل خطواتها برشاقة متناهية مع ايقاعات الالحان وخطواته البارعة المنسقة، بادرها بقوله:

- صدقيني يا كيت انني بدأت افكر بأنك تتجنبين لقائي!
- انا؟! لماذا تتهمني بمثل هذه التهمة التافهة؟
- وأنّى لي ان اعرف الحقيقة!

صمت قليلاً وهو يراقصها ويفكر ثم تابع قائلاً بهمس:

- لم ارك منذ الاسبوع الماضي، الا يبرر ذلك تهمتي التي تقولين انها تافهة؟

تنهدت الآنسة كيت اذ تذكرت بدهشة وعجب الحديث الذي جرى معه اثناء هبوب العاصفة.

وتساءلت بينها وبين نفسها عما اذا وجدت فرصة للمناقشة والنقاش معه في الموضوع الذي اشار اليه عندما حضر الى البيت ولم يجده. لو ان اللقاء بينهما حصل لكانت سمعت عنه. اللهم الا اذا كانا اتفقا خفية عنها وقررا الالتزام بالصمت. كل شيء جائز. هنا راودتها الرغبة في سؤاله عما اذا كان قد التقى بوالدها واستدرجه، في غمرة النشوة التي يشعر بها الآن وهو يراقصها، للبوح له بموضوع ذلك اللقاء، ولو لماماً. لكنها عدلت عن رأيها، مؤجلة ذلك الى فرصة اخرى اكثر مناسبة. ثم بدأت تقص عليه الاعمال التي قامت بها خلال الاسبوع الماضي والتي شغلتها عن السعي لمقابلته، في محاولة منها لرد التهمة التي لوح بها قبل لحظات من انها تتجنب اللقاء معه.

قالت له في سياق دفاعها عن النفس:

- ليكن معلوماً لديك اننا ذهبنا لزيارة السيد ماديسون وزوجته يوم الثلاثاء. ويوم الاربعاء زارتنا السيدة فاي وظلت عندنا لتناول العشاء. اما يوم الجمعة فكان حافلاً بالحركة والنشاط اذ نزلت الى السوق للتبضع بينما ذهب والدي لقضاء بعض الوقت في بيت قديم

قرب الشاطئ، برفقة السيد والت. ولم نخرج من البيت اطلاقاً يوم السبت. وهكذا ترى ان فكرة تجنبي الالتقاء معك غير واردة اطلاقاً. فما رأيك يا براد!

لكنه تجاهل التعليق على الالحاح الناعم الذي اضفته على تبريرها في ختام الحديث عن مشاغلها التي حالت بينها وبين اللقاء معه، وسألها:

- هل لك ان تخبريني، يا كيت، كم من مرة يذهب والدك الى ذلك المكان؟
- لا يذهب كثيراً الا عندما يدفعه الشوق لممارسة هواية صيد السمك. لماذا تسأل يا براد؟
- لا ابداً. ولكن اردت معرفة اين يقع ذلك البيت القديم.

تأملته ملياً وقد استبدت بها الحيرة والدهشة الآن، ثم اجابته:

- صدقني، انني لا اعرفه. ولم اذهب ولو مرة واحدة. كل ما في الامر انه حصل عليه منذ سنتين خلتا تقريباً.
- انه يقع بالقرب من الشاطئ، اليس كذلك؟
- ليس تماماً... اغلب الظن انه يقع خلف تلول بعيداً عن الطريق العام.

وصمتت تفكر تحسباً للرد على اسئلة جديدة يطرحها عليها. لكنه لم يفعل، وبدلاً من ذلك راح يحدق فيها كأنه يحاول تفسير الغموض الساطع من عينيها. ثم وجه خطواتها نحو الباب الذي يفتح على الشرفة، حيث كانت الموسيقى تصل خافتة، والمصابيح تعكس انوارها الباهتة على الساحة الخارجية، والحرارة تلفح الوجوه وتصفعها بضراوة، وطنين الحشرات والذباب يملأ الاجواء ويطغى على اصداء الانغام الموسيقية التي كانت تتردد في الخارج.

بدت كيت الآن غير مبالية كثيراً عما كان ينغص قلبها وهي تمشي الهوينا بجانبه بقدر ما بدت تتوخى الحذر من عاقبة ما قد تقع فيه ان هي اعطته الفرصة للتصرف معها كما تصرف خلال العطلة الماضية.

وهكذا استجمعت قواها العقلية لمواجهة كافة الاحتمالات والتعامل معه بطريقة لا تتورط معها بأية مغامرات عاطفية جديدة، دون ان يكلفها ذلك افساد علاقتها معه او الاساءة الى كرامته. كانت تعرف ان عليها ان تتصرف نحوه بمنتهى البراعة والذكاء في سبيل المحافظة على هذه المعادلة الغريبة من نوعها.

وهكذا خطت الخطوة الأولى في مسيرة الألف ميل عندما تملصت من الطوق الذي ضربه حولها وهي تمازحه. وراحت تدور حول الزهور النامية في حديقة المنزل، وتدعوه للتفرج عليها، فيلبي النداء بلا تردد ويتظاهر بمشاركتها هذه الفرحة. ولم يطل بها المقام حتى افتضح امرها من خلال القشعريرة التي عكسها انفعالها على ذراعيها، فانتهزها فرصة ليسألها مداعباً وهو يشير باصبعه الى ذراعيها:

- هل تشعرين بالبرد؟

- انك تمزح كعادتك، ولكنك هذه المرة تسأل عن الشيء وعكسه في آن واحد.

وكان ذلك حافزاً له لمطاردة الحديث معها حول موضوعه المفضل. سألها:

- هل انت مشغولة غداً؟

لا استطيع التأكيد بالضبط. ربما ذهبت في نزهة بالقارب الى عرض البحر.

- برفقة والدك!

- اذا كان يريد والا فالأمر يتوقف على الظروف.

- ما رأيك ان تخرج لتمضية النهار معاً؟

- النهار بطوله!

- طبعاً، لأن ليس عندي ما افعله غداً. انا حر طيلة النهار. وسوف نتمتع به كيفما اتفق.

- موافقة.

قالتها مشفوعة بابتسامة عريضة.

- حسناً سننطلق بعد الفطور مباشرة.

- لست ادري متى نفطر!

- مهما يكن، كوني جاهزة الساعة الثامنة تماماً.

- حاضر، امراً وطاعة. ومشيا معاً في طريق عودتهما الى داخل القاعة حيث كانت الحفلة تشرف على النهاية، وبدأ المدعوون يغادرون المكان عائدين الى بيوتهم.

وما ان ودعها شريدان وغادر القاعة حتى عادت كيت وانضمت الى والدها لمفاجئتها ويخبرها بالقول ان السيد والت عرض القيام بزيارتها وقضاء النهار عندهما غداً، وانه وعده خيراً. الا ان الآنسة كيت لم تعلق بشيء على هذه المفاجأة غير السارة، ولم تبح له بالوعد الذي اعطته للسيد شريدان، وهي تفكر بتأجيل البحث معه في موضوع الزيارة التي عرض السيد والت القيام بها نهار غد، الى ان يصلا الى البيت. وغني عن القول ان كيت كانت لا تتوقع من والدها ان يعترض على خروجها مع شريدان اذ سبق له وشجعها مراراً على ضرورة التمتع بعطلتها الطويلة الى اقصى الحدود، وتلبية جميع الدعوات التي تراها مناسبة.

وهكذا لم يخطر ببالها قط ان والدها سيتضايق او انه سيلوح بأقل قدر من المعارضة على خروجها مع شريدان، بعد ان بلغته الخبر. ودار بينهما عتاب طويل وشاق، يعنف تارة ويخبو تارة اخرى، لدرجة ان كيت ذهبت الى حد الغاء الموعد ارضاء لخاطره.

والحقيقة ان والدها لم يعترض على خروجها برفقة شريدان لمجرد التلويح بالمعارضة، وانما بسبب الاحراج الذي وجد نفسه يتخبط فيه بعد ان وافق على الزيارة التي طلب السيد والت ان يقوم بها وتزامنها مع خروج ابنته مع شريدان. وبقدر ما ضايقه الخبر فقد اقلقه معرفة ان ابنته التي سبق وعبرت له عن عدم ارتياحها لمصادقة ومعاشرة شخص كالسيد شريدان، باتت تواقة الآن الى الخروج برفقته لدى

اول اشارة تبدر منه. وقد افهمها بكل صراحة ان ضيقه ومعارضته المبدئية على الخروج مع اي كان نابعان من حرصه على كرامتها وسمعتها بين الناس.

ويبدو ان كيت كانت حريصة على سمعتها بقدر ما كان والدها حريصاً عليها وعلى سمعة العائلة، اذ ابدت رغبتها في الغاء الموعد المذكور، والبقاء في المنزل للاشتراك في استقبال السيد والت وتكريمه اثناء زيارته لها. لكن والدها رفض ذلك والح عليها للخروج مع السيد شريدان حسبما وعدته، وهو سيتولى معالجة الزيارة التي سيقوم بها السيد والت نهار غد. ووعدها بعدم البوح له بانها كانت على علم بزيارته، فيصيب اذ ذاك عصفورين بحجر واحد.

ثم تأملها بحنان وهو يتنهد بعد ان داهمه النعاس، فنهض من كرسيه. وقبل ان يتركها ويأوي الى غرفة نومه، اقترب منها واحتضنها بحرارته الأبوية.

ـ طابت ليلتك، يا كيت! وارجو لك رحلة ممتعة.

ـ شكراً يا ابتاه، وتصبح على خير.

وسار كل في طريقه الى غرفة نومه.

لم تنم كيت طويلاً تلك الليلة اذ نهضت باكراً وبدأت تستعد للرحلة وهي ترقص طرباً من مجرد التفكير بها. فوضعت بعض اصناف الطعام في حقيبتها اليدوية مع بعض الثياب التي كانت ستضطر الى تغييرها بسبب الطقس البالغ الحرارة هناك وجلست تنتظر الساعة.

شاء القدر ان يصدمها ويخيب آمالها قبل دقائق معدودة من خروجها وبدء الرحلة التي شأنها ان تكون حافلة بالفرح والمرح. ففي تلك اللحظة الحاسمة بالذات فوجئت بوصول الخادم بيتي، حاملاً بيده رسالة قصيرة سلمها اياها، وهو يقول:

ـ هاك يا سيدتي هذه الرسالة التي سلمني اياها احدهم وعاد مسرعاً.

كانت تلك الرسالة قصيرة جداً، تقول:

«استدعيت للسفر. الرجاء ان تسامحيني الآن بانتظار ان اعود واعتذر لك شخصياً. براد شريدان».

من السابق لأوانه التكهن بحقيقة الاسباب التي جعلت شريدان يلغي تلك الرحلة في آخر لحظة طالما انه هو نفسه احجم عن ذكر اي سبب كان. غير انه لا سبيل للانكار بأن كيت اصيبت بصدمة قوية من جراء عدم وفائه بوعده بعد الحاحه عليها للموافقة على الخروج برفقته. ومع ذلك فانها لاذت بالصمت واكتفت بتمزيق الرسالة والقائها في سلة المهملات.

ورغم حالتها النفسية المضطربة فانها بذلت قصارى جهدها كي تعامل السيد والت بلطف وبشاشة اكراماً منها لارضاء والدها.

كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة عندما وصل والت. وبعد لحظات قليلة تناولوا طعام الغداء، ثم استسلموا للراحة في جو بالغ الحرارة والرطوبة، لا يمكن معه ممارسة اي نشاط اجتماعي مهما كان نوعه. وبعد قليل استأذنت كيت لتستحم وتغير ثيابها، دون ان تفقد الأمل في وصول اشارة من السيد شريدان، وفي الخروج معه لتمضية ما تبقى من ساعات النهار. الا ان شيئاً من هذا القبيل لم يحصل، فعادت ادراجها للانضمام الى والدها والسيد والت لتجدهما يغطان في النوم. وقفت برهة قصيرة تتأملهما وهي تقلب شفتيها دهشة من منظر استرخاء كل منهما على هذه الاريكة او تلك، وطريقة نوم كل منهما، الخاصة والغريبة. ثم استدارت دون ان تنبس ببنت شفة، وعادت الى غرفة نومها، حيث استلقت على سريرها ونامت هي الاخرى.

نامت لفترة اطول كثيراً مما كانت تنوي ان تنام. وقد استبد بها النوم للدرجة انها لم تستيقظ الا على صوت الخادم يوقظها ليقدم لها فنجاناً من الشاي، ويخبرها بأن الساعة اعلنت الخامسة مساء. فنهضت من سريرها وهي تشعر بالارتياح ليقينها ان السيد والت غادر

المنزل في مثل هذا الوقت المتأخر. الا ان شعورها بالارتياح لم يدم طويلاً اذ قال لها والدها ان تستعد للخروج بغية تناول العشاء مع والت في النادي.

- ارجوك ان تسمح لي بالبقاء في البيت.

اجابته وهي تنهض من السرير وتجلس على الكرسي حاملة كتاباً بيدها.

- لم لا؟ انا لا ارى موجباً لتصرفاتك هذه بعد كل الذي عانيت منه طيلة النهار، وكنت اتوقع منك ان تكوني اكثر حرصاً على كرامتك الشخصية، يا كيت!

قال ذلك بحدة لم تألفها من قبل وهو يحدق في ملامحها الواجمة الكئيبة.

- لكنني لا افهم كيف يمكنك الربط بين الكرامة ورفضي دعوة لا ارغب في قبولها او تلبيتها، يا ابي!

- أكرر لك القول بأن لا حاجة للذهاب بعيداً في تضخيم الأمور والتلميح بأن هكذا دعوة عادية الى العشاء بمثابة تفكير عن ذنب.

- فسرها كما تشاء، يا ابي. برأيي، هذا هو الواقع.

- هل تقصدين انك لن تذهبي؟

- نعم. حسبه انه حصل على ما يريده اثناء النهار، أليس كذلك؟

- كم انمنى رؤيتك تحاولين تبسيط الأمور بعد ان اصبحت غاية في التعقيد بدون. . . فقاطعته تقول:

- بدون من تقصد! لست افهم.

وألقت الكتاب جانباً بعد ان شعرت بعودة التوتر، ثم تابعت تقول:

- ابي، اعرف ان العم مارت كان اعز صديق لك، ولكنني لا ارغب في ان يصبح ابنه اعز اصدقائي بهذه البساطة.

- لكنك تضخمين الأمور، يا كيت.

وصمت ليمد يده ويتناول سيكارة من العلبة اشعلها وتابع يقول:

- كل ما في الأمر انني اود منك الا تتظاهري بانك تكرهين والت خاصة وانك ستعودين الى لندن بعد بضعة اسابيع، بقينا مني بانك تعرفين، اكثر من اي انسان آخر، طبيعة الحياة الضيقة والمزمنة في ماهور واستحالة الهروب من هذا الواقع. فربما ستغادرين هذه البلدة ولكنني انا باق هنا لمتابعة عملي مع هؤلاء الناس والاحتفاظ بعلاقات شخصية سليمة ومعقولة معهم، والا اصبحت حياتي بينهم جحيماً لا يطاق.

- انك تخفي عني بعض الحقائق، اذ يخيل الي احياناً انك تخاف من والت! أليس كذلك؟

وكان ذلك كافياً لتصعيد حدة غضبه وانفعاله، اذ حدق فيها وهو يرد عليها بلهجة لم تألفها من قبل.

- ماذا تقولين؟ ما كنت اتوقعك ان تكوني سخيفة الى هذه الدرجة، يا كيت. هل لك ان تخبريني، لماذا انا اخاف من السيد والت؟

- ذلك هو ما سألتك عنه لتخبرني.

كانت تحدق فيه بعد ان ابقت بحدسها القلق الذي يراوده من خلال ملامح الحيرة التي ارتسمت على وجهه. ثم استطردت قائلة:

- وهل نسيت انك دوماً تدافع عنه وتنفذ رغباته!

- كلا، يا كيت! انت غلطانة.

هز برأسه واستعاد سيطرته على رباطة جأشه، ثم تابع قائلاً:

- لا تحسبي نفسك اول من يصاب بنكسة حب!

زمت شفتيها وردت عليه قائلة بسخرية:

- اتظن انك تخبرني شيئاً جديداً عن تعثر والت في الحب لا علم لي به؟ يكاد قلبي ينزف دماً من الحزن عليه!

- ولكن هذه هي الحقيقة. واسوأ من ذلك ان النهاية كانت مأساوية.

وكأنه نسي انه كان يتحدث مع ابنته، وليس مع رجل آخر،

اردف قائلاً:

- كانت روعة في الجمال لكنها خانته اذ وهبت قلبها لمهندس يعمل في مصفاة النفط... تصوري، يا كيت، كيف اصبحت حالته.

- اجل، وهل تنتظر مني ان اذهب لمواساته وتعزيته؟

- كلا، لا يا كيت، لا اريدك ان تهبطي الى هذا المستوى.

وتنهد وهو يفرك ذقنه بيده ويقول:

- اظن ان ذقني بحاجة للحلاقة.

وهبّ واقفاً ثم مشى فلحقت كيت به وهي تقول له بلطف وحنان:

- آسفة يا ابتاه على سوء تصرفي نحوك سامحني، ارجوك. انت تعرف كم احبك، يا اعز مخلوق عندي في الدنيا.

- اعرف ذلك حق المعرفة، يا عزيزتي.

ألقى ذراعه على كتفيها وهو يرد قائلاً:

- الحق عليّ يا كيت. ليس لي أن ألوم الا نفسي اذ من حقك ان تختاري اصدقاءك بنفسك دون ان اتدخل في الموضوع اطلاقاً، ولكنني فكرت...

وقاطعته لتقول:

- فكرت بماذا؟

- لا شيء! لا، ابداً. كل ما في الأمر انني اسعى جهدي لابعاد الاذى عنك، يا عزيزتي.

- لكنني لا اشعر بأي أذى

الا ترى، يا ابي! وليكن معلوماً لديك أنني انطلع بشوق ولهفة لنقاش صريح ومخلص معك بين وقت وآخر.

- لم يكن هذا قصدي وانما عنيت التصرف الشائن الذي عكر عليك صفاء هذا اليوم!

- حتى ذلك لم يعكر علي صفاء العيش.

- يجوز، ولكن ملامحك كانت تحكي شعورك بخيبة امل!

- وهل توجد فتاة لا تشعر بخيبة الأمل ذاتها لو عوملت كما عوملت انا اليوم؟ لكن، لا بأس من ذلك...

اقتربت منه تلاطفه وتحضنه وهي تقول:

- اطمئن بالاً يا ابتاه، اطمئن. سوف أزين نفسي بأحلى زينة وألبس اجمل ثيابي اكراماً لخاطرك الليلة. مفهوم؟

- مفهوم!

ابتسم لها وهو يبادلها عبارات الغنج والمودة كما لو انهما يشعران باللقاء فجأة بعد طول غياب.

وهكذا قررت كيت ان تنفض عن نفسها غبار الحيرة، وتكف عن المواقف المتصلبة، ثم وعدت والدها، وان مداورة ومداعبة، بالخروج معه لتناول العشاء مع والت، فاستعادت ثقته الكاملة بها. والحقيقة انها كانت صادقة معه ومع نفسها، اذ انها وعدت ووفت بوعدها.

ومع ذلك ظلت اسيرة بعض التساؤلات المقلقة التي كانت تساورها، خاصة ما يدور منها حول تصرفات والدها نحوها اليوم، اذ لم تره مرة واحدة في حياتها يغضب ويحتد مثلما غضب واحتد اليوم. حتى عندما كانت صغيرة السن، كان يتركها وشأنها لتختار بحرية ما تراه مناسباً، دون ان يتدخل في امورها الشخصية بالمرة. صحيح انه كان يعاكسها احياناً، لكنه كان يفعل ذلك بظرافة ودعابة بغية حملها على تغيير رأيها او العودة عن المطالبة بممارسة شيء لا يفيده. وكان يتأفف وينفد صبره منها، دون ان يغضب عليها. فما باله يغضب عليها اليوم، ويصرخ بوجهها، لا لشيء الا لأنها اعترضت على ان تكون لطيفة وبشوشة تجاه السيد والت، كما اوصاها؟ وكما انها كانت محتارة من امر والدها، ومن تصرفاته، والكلمات القاسية التي استعملها في نقاشه معها، كذلك كانت محتارة من امرها هي، وقاسية جداً في حكمها على نفسها بسبب مشاكستها لوالدها، والتعابير غير المعقولة التي لجأت اليها وهي تشترك في الحديث معه والتي اثارت

غضبه ودفعته الى معاملتها بفظاظة لم تعهدها فيه سابقاً. وانتهت الى التفكير بأن هروبها من مواجهة الحقيقة كان السبب الرئيسي في تعكير الأجواء الصافية التي كانت تسود علاقاتهما، وان لفترة قصيرة. ووافقت والدها في ما ذهب اليه من ان تخلف السيد شريدان عن الوفاء بعهده صدمها واربكها. ثم كبحت جماح انفعالها وذهبت وانضمت الى والدها.

كان الجو رائعاً عشية ذهابهما الى النادي، حيث وجداه يعج بالحركة والنشاط وكثرة عدد رواده في مثل هذه الامسيات الدافئة، كما كانت العادة في ماهور. وزاد النادي جمالاً تلك الاضواء الملونة التي كانت تزين المكان والمطاعم المختلفة الممتدة على طول الشاطىء والمكتظة بالرواد من كل حدب وصوب، ومن مختلف الجنسيات والأعمار. وفي الجهة المقابلة كانت مياه النهر تنساب بصمت وجلال، والقوارب الصغيرة مشدودة الى مرابطها البرية القريبة، واضواء القناديل المثبتة في سواريها تنعكس على المياه لتضفي عليها لوناً بهياً.

اما النادي الذي توجهت اليه كيت ووالدها مع والت وسيارته، فيقع في طرف البلدة، بعيداً عن الضجيج والعجيج. وها ان كيت اصبحت قادرة على رؤيته من المسافة التي وصلتها السيارة، فتذكرت بمرارة الأيام الغابرة التي فاتتها، عندما كان لا يسمح للصغار بالدخول اليه اذا لم يكونوا بصحبة الكبار.

وما هي الا لحظات قليلة حتى وصلت السيارة فأوقفها والت في الساحة الخارجية وترجل منها، ثم دار بسرعة حولها ليفتح الباب لكيت كي ترجل منها هي الأخرى ليشبك ذراعه بذراعها، ويسيرا معاً باتجاه المدخل، دون ان تحاول الافلات منه. وعلى العكس من ذلك فانها تصرفت نحوه ببشاشة كبداية لممارسة فلسفتها الجديدة القاضية بالتعاطف مع مختلف الطبائع البشرية بغض النظر عن شذوذ وغرابة بعضها، لدرجة انها لم تتمالك نفسها من الضحك عندما

اطلق نكتة تافهة حالما رأى توم وليها يسيران معاً في الجهة المقابلة.

في هذا الاثناء كان الرواد يتوافدون تباعاً، الواحد بعد الآخر، افراداً وجماعات، فيتبادلون التحيات ثم يدخلون الى القاعة، ويتوزعون على الطاولات هنا وهناك.

وكم كانت دهشة كيت عندما لفت والت انتباهها الى شخصين كانا خارجين، وتأكدت من شخصيتهما. وقد زاد في دهشتها ان هذين الشخصين كانا شريدان والسيدة ايلين. وكان كل منهما يتأبط ذراع الآخر كما لو كانا زوجين حقيقيين، وايلين تهمس في اذنه قائلة: «دعنا نذهب الى مكان آخر، يا حبيبي، اذ يبدو لي ان . . .» وتوقفت عن الهمس، وغابت البسمة عن وجهها ساعة شعرت بالأنسة كيت ووالت يمران بمحاذاتهما، ثم التفتت اليها وخاطبتها قائلة وقد عادت الابتسامة الى وجهها:

- انا متأكدة انك لا تمانعين، أليس كذلك؟ لقد امتعضت به نظراً لسفر ركس الذي يسافر بصورة دائمة ويتركني لوحدي في البيت. شيء فظيع ومؤلم، أليس كذلك؟

وظلت كيت صامتة تحدق في عيني السيد شريدان كأنها تريد ان توحي له بأنها لا تصدق. اجل، كيف تصدق تلميحات ايلين البريئة بعد ان تراءى لها العكس من خلال التعابير الغامضة التي انعكست على وجه شريدان الذي كان يحدق بوجهها هو الآخر بشكل يوحي بأنه يهم بقول شيء ما، ولو كلمة واحدة لتبرير عدم تنفيذ وعده لها، او على الأقل لتبرير وجوده امامها في هذه اللحظة التي افترض ان يكون فيها مسافراً، كما اخبرها في رسالة الاعتذار. لكنه لم يتفوه بأي كلمة. واذا بالسيدة ايلين تأخذ المبادرة لتقطع حبل الصمت وتقول بالحاح:

- هيا بنا، يا حبيبي! هيا نتابع طريقنا. يبدو لي ان منظرنا معاً لم يعجبها. وردت عليها كيت وهي تتأمل منظر شريدان الكئيب وتبتسم ابتسامة مصطنعة:

- ومن الذي اخبرك بانني زعلانة، يا ايلين؟ العكس هو الصحيح. صدقيني انني اتمنى لكما السعادة والهناء من كل قلبي.

قالت ذلك واستدارت وهي شامخة الرأس، هادئة الاعصاب. الشيء الوحيد الذي ازعجها الى حد ما هو الدردشة المبتذلة التي كانت تدور على السنة توم وليندا ووالت، وتمنت لو انها ظلت متمسكة بقرارها الرافض بالمجيء الى مثل هذا المكان، ولسان حالها يقول: لو انني التزمت بيتي لكنت وفرت على نفسي رؤية ذلك المشهد الشنيع...

تقصد منظر شريدان وايلين.

والواقع ان كيت كانت صادقة في كل تأملاتها وتصوراتها وانطباعاتها، وخاصة ما يتعلق منها بتصرفات شريدان وسلوكه الشخصي، وحبه للخروج برفقة اية فتاة، سواء كانت متزوجة ام عزباء... لا فرق.

أ إلى هذا الحد من الوقاحة تمارس ايلين حياتها بلا خجل ولا حياء؟ فلو كانت عازبة وتأمل من هذا الشاب او ذاك، ممن كانت تجلبهم اليها ان تخرج برفقتهم امام اعين الناس، اجل، لو كانت فقط عازبة، كما كان وضع الاسكوتيت، لكان لها عذرها! هذه كانت التساؤلات التي راودت مخيلة كيت وهي تهم بالدخول الى صالة النادي للانضمام الى والت ووالدها.

ما ان اصبحت في الداخل حتى اندفعت بحماس الى مشاركة الحاضرين في الرقص. فرقصت مع والت، ثم مع توم، الى ان انتهت بالرقص مع لويد قبل ان يتسنى لها رؤية والدها، الذي بادرها بالسؤال وهو يبتسم لها:

- ها، ها، كيف تشعرين الآن، يا كيتي!

- على خير ما يرام، يا والدي العزيز.

ومدت له يدها وهي تقول:

- هيا بنا نرقص معاً كي اثبت لك حقيقة شعوري اذا كنت لا

تصدقني!

فاعتذر بلطف وهو يومىء برأسه بتصديقها ويشير عليها بيده كأنه يقول لها: اذهبي وارقصي ما طاب لك الرقص.

الا ان شعورها بالفرح لم يطل اذ بدأت تشعر بصداع مرير من كثرة ما رقصت وطربت، فراحت تبحث عن والدها لتخبره بانها تنوي العودة الى البيت بمفردها، اذ ان حالتها لا تحول دون استمراره في مجالسة اصدقائه ومسامرتهم، ويوافيها الى البيت ساعة يشاء.

وهنا انبرى السيد والت وتطوع لمرافقة كيت الى البيت، بعد ان رفضت قيام والدها بهذا الدور لئلا تعكر عليه صفاء هذه السهرة والبهجة التي كانت تغمره. وهكذا قبلت طلب والت بمرافقتها، فودعت والدها بابتسامة عريضة وخرجت وصدى كلمات والدها المفعمة بالرجاء والحنان يتردد في اذنيها.

ابدى والت حرصاً بالغاً على راحتها، فساعدها على ارتداء بلوزتها ثم امسكها بذراعه وهو يسير بها الهوينا حتى وصلت الى السيارة وركبت فيها، واسندت ظهرها الى الخلف، بينما بدأ هو بتشغيل المحرك تمهيداً للانطلاق بمسيرة العودة.

لم تدرك كيت بان والت كان يقود سيارته في الاتجاه المعاكس للاتجاه المؤدي الى بيتها الا بعد ان قطعت السيارة مسافة طويلة.

وبدأت شتى الظنون تساورها حول نية والت. غير ان هذا الاخير طمأنها بانه يفعل ذلك عن قصد بدافع حرصه على راحتها علها تستعيد نشاطها وحيويتها بعد العناء والتعب من كثرة الرقص والصخب في النادي. فاطمأنت، ولكن على مضض، لتعود الظنون تساورها حول حقيقة نواياه، خاصة بعد ان غير اتجاه السيارة عدة مرات، وانعطف بها الى هذه الطريق الفرعية او تلك، الى ان سار بها في الاتجاه الذي يؤدي الى ذلك البيت المهجور الذي يملكه بعيداً عن البلدة. وتمنت في قرارة نفسها الا يكون متوجهاً اليه وضنها تحدثها لافهامه صراحة بانه اذا كان ذاهباً هناك لغرض الأفضل له ان يرعوي

عن فيه قبل فوات الأوان، ويعود بها من حيث اتى. ولكنها ألجمت لسانها عن الكلام لترى كيف وأين ستكون النهاية.

وهكذا تابع والت سيره وسط مناطق غريبة المعالم والأوصاف. فكان يمر بسيارته مرة عبر الأشجار ومرة أخرى بمحاذاة جدول من جداول النهر، الى ان اوقف سيارته عند نقطة بعيدة جداً عن الطريق العام، مما اثار الاستهجان في نفس كيت ودفعها الى طرح السؤال عليه:

- أين نحن الآن؟ حذار من الادعاء بأن البنزين قد نفد!

- وهل قلت لك شيئاً كهذا؟ كلا، يا كيت، لم ينفد بنزين سيارتي! او تظنينني مهملاً الى هذا الحد المهين؟ الا تعرفين اين نحن الآن؟

- كلا، لا اعرف. وهل يجب ان اكون عارفة؟

- نعم، لا بد انك تعرفين!

حدق فيها بشكل اثار مخاوفها كما لم تشعر بمثلها سابقاً وجمد الدم في عروقها، واخرس لسانها عن نطق اكثر من بضع كلمات خرجت من فمها متحرجة ومتقطعة:

- من الأفضل لنا ان نعود اذ ان الوقت اصبح متاخراً جداً!

- ولماذا كل هذه السرعة؟ تعالي، تعالي لنتفرج على البحر على نسيمه الناعم ينعشك ويشفي صداعك.

عضت شفتيها ندماً وكادت ان تحتج، لكنها استدركت ذلك وهي تفكر بأن من الأفضل لها ان تلاطفه وتداعبه عساها تستطيع بذلك اجتياز هذا الموقف الخطير بسلام. ثم سارت الى جانبه حتى وصلا الى مشارف الأرض المنحدرة الى صخور الشاطىء، لتنتابها قشعريرة باردة حالما تذكرت ان هذا المكان لم يكن سوى المكان الذي القت ليلى دنتون بنفسها منه الى البحر. واستدارت مذعورة لتهرب لو لم يمنعها والت وهو يسألها بلهجة غريبة:

- ترى، هل هي لا تزال جاثمة في قعر البحر؟

- من تقصد؟ لست افهم؟

- بل تعرفين قصدي. علام تتظاهرين بالجهل!

وقفت امامه وهي واجمة وعاجزة عن الكلام، تتساءل بمرارة ودهشة: ترى، أية فكرة جنونية تسلطت عليه وجعلته يأتي لزيارة مكان كان مسرحاً لمأساة؟ وأية فكرة جهنمية دفعته لأخذها معه والوقوف معها فوق هذه الصخور البركانية والاسترسال في حدسي الدوافع التي اهابت بليلى الى وضع نهاية لحياتها بتلك الطريقة المفجعة لسنوات طويلة مضت. ثم تأملته واجابته بهمس:

- لا، يا والت، انني لا اتظاهر بالجهل. وانما قصدي هو ان لا فائدة ترجى من اثارة مثل هذا الحادث المؤلم بعد مرور سنوات عديدة عليه.

لكنه تجاهلها وظل صامتاً وهو يتأملها تأملات فاحصة ومريبة لدرجة انها لم تستطع تحمل تأثيرها القطبي عن نفسها، او لجم لسانها عن مخاطبته قائلة:

- دعنا نعود، يا والت. ارجوك! فقد اصبح الوقت متأخراً جداً.

- انك ما زلت تتصرفين كالعادة، يا كيت. انك دوماً تتهربين من معرفة الحقيقة. لماذا؟

- لست افهم ما تقول. ماذا تعني بقولك اني اتهرب من مواجهة الحقيقة؟

- اذن اسمعيني وافهميني جيداً.

وقبض على كتفيها بكلتا يديه، ثم تابع يقول:

- منذ مجيئك هنا وانت تتجنبين لقائي قصداً. وهكذا فعلت عندما عدت الى البيت من مدرستك في بريطانيا قبل خمس سنوات ودعوتك لتناول العشاء معي. حتى عندما كنت صغيرة كنت تتجنبينني وتهربين مني كما لو كنت تهربين من الطاعون.

صعقتها معرفة الحقيقة وجعلتها عاجزة عن ايجاد كلمات مناسبة تدافع بها عن نفسها ازاء الاتهامات التي وجهها اليها، علماً بأنها لم تظهر نحوه من ضروب الجفاء والكره ما يلوح به الآن. بل انها، على

بالعكس من ذلك، كانت دوماً تعامله بلطف وتهذيب، ولكن الى الحد الذي يردعه عن التمادي معها في اية علاقات مشبوهة، او ان يدعه يفكر بانها ميالة الى الاستجابة. فما باله الآن يحاول ان يحملها على مسؤولية تصرفاتها يوم كانت طفلة بريئة! وما عساها تقول له لينزع هذه الافكار الخاطئة من ذهنه؟ اخيراً، لملمت افكارها المشتتة، وخاطبته بلهجة يائسة قائلة:

- انا متأكدة أنك أرفع من ان تحملني مسؤولية تصرفاتي الطفولية، خاصة وانت تعرف بانني اصغر منك بعشر سنوات. ولا مرة حاولت المساس بشعورك عن قصد. صدقني، يا والت. لقد كنت طفلة وانت في سن المراهقة، فكيف يمكنني والحالة هذه ان اقوم بما يغيظك او يمس شعورك؟

- ان ما تقولينه غير صحيح، لو كنت صادقة في اقوالك لما فضلت الصليبي علي رجلاً غريباً بعد وصوله بلحظات.

- كلا، ليس صحيحاً ما تقوله.

وساهمت الحمرة في اخفاء الاحمرار الذي خضب وجنتيها اذ ادركت للوهلة الأولى من كان يقصد بدون ان يسميه. صمتت لحظة قليلة ثم تابعت تقول:

- وحتى اذا ابديت ميلاً نحوه فهذا شأني وحدي، وليس لغيري ان يتدخل في ما لا يعنيه - سواء كان والت يفكر بأنه يتدخل في ما لا يعنيه ام لا، فقد تجاهل اشارتها المبطنة الى السيد شريدان، وضغط بقوة على ذراعها الناعمة باحدى يديه وهو يرد عليها بلهجة ساخرة:

- لا تفكري بأن الحيلة انطلت علينا الليلة عندما زعمت بأنك مصابة بصداع، ولكنك افتعلت ذلك كوسيلة للهروب من الحقيقة الماثلة امامك بشخصي براد وايلين، والصدمة التي اصابتك بعدما اخلف بوعده لك متذرعاً بحجة انه استدعي للسفر بصورة طارئة. كم مرة وعدني باللقاء دون ان تحفظي العهد ولو مرة واحدة! هل تتذكرين ام انك ما زلت لا تشعرين بوجودي؟

- لكنك لم تقل لي ولو مرة واحدة ما تريد مني!

بدأت تبكي وهي تحاول الافلات منه. فرد عليها وهو يكز اسنانه:

- الم تعرفي أنني احبك واتمنى ان اتزوجك في يوم من الأيام؟ اجل، كنت ادعوك للالتقاء بدافع حبي لك، لكنك كنت تتهربين مني.

- هذا يعني انك جئت بي هنا عن قصد وفي يقينك انني فريسة سهلة المنال، اليس كذلك؟ قل الحقيقة يا والت، اذا كنت تملك الشجاعة الكافية لقول الحقيقة!

- لا تحاولي ان تلعبي دور الفتاة الطاهرة البريئة والا فانك ستندمين بعد فوات الأوان.

تأملت كيت وهي تحاول اخفاء مظاهر الخوف الذي دب في نفسها، ثم تراجعت خطوة الى الوراء وردت عليه بلهجة توحي بانها قادرة للرد على تحديه بتحد اشد واقوى.

- انت تهددني؟!

- كلا، وانما حذرتك وانذرتك من مغبة التعاطي معي كأنني ابله!

هنا أيقنت كيت بحدسها انها تواجه موقفاً غاية في الحرج والخطورة. نظراته، نبراته، ملامحه وكل حركاته كانت تنبىء بانه مصمم على النيل من كرامتها بطريقة او باخرى. وليس امامها سوى طريقة واحدة للافلات من المصيدة التي دبرها باحكام للايقاع بها. لكن، كيف تهرب منه وقد صد بوجهها جميع منافذ الهرب؟ ازاء هذا الموقف المتأزم والمحرج للغاية فكرت بأن لا مناص لها الا ان تلاطفه وتوهمه بلباقة بانها ستكون وفية ومخلصة له من الآن وصاعداً. ثم بادرت الى لعب دورها بقولها له وهي تمد يدها مداعبة ظناً منها بانه كان يعاملها بقسوة تحت تأثير الانفعال، وعن غير قصد:

- اغفر لي تصرفاتي الشاذة وكلماتي القاسية... ارجوك ان تسامحني لأنني كنت خائفة وقلقة. دعنا نؤجل مناقشة موضوعنا الى وقت آخر... هيا اعدني الى البيت فالوقت اصبح متأخراً جداً ولا بد

من ان يكون والدي ينتظر عودتي بقلق بالغ.

اجابها بسخرية من نوع مختلف حولت احمرار وجهها الى اصفرار، خاصة عندما كرر اسم والدها باحتقار مشفوعاً بضحكة صفراوية:

- من حسن حظك، يا كيت، انني كنت كتوماً عندما كنت صغير السن.

- ماذا تقصد؟

وضعت يدها على فمها من فرط الحيرة، وتابعت:

- ما معنى كل هذا الحديث؟

- كفى، يا كيت. كفاك التصرف معي كأنني أبله! آن الأوان كي تكفي عن التظاهر بالجهل.

- صدقني يا والت انني احترمك واقدر رجاحة عقلك، ورحابة صدرك.

هنا انفرجت اساريره، وغابت مسحة الغضب والكآبة عن وجهه فأيقنت كيت ان لا بد من وجود علاقة بين تصرفات والت الآنية نحوها وملامح الحيرة الظاهرة بصورة دائمة على وجه والدها. وكان ذلك كافياً لها لمتابعة الحوار من زاوية مختلفة. فسألته بهدوء:

- هل لك يا والت ان تخبرني عن حقيقة الدوافع التي جعلتك توجه إلي كل تلك التلميحات المحرجة والجارحة؟

- اجل. كنت اقصد ان والدك مسؤول عن وفاة خالتي، يعني زوجة والدي الثانية.

ساد على الاثر صمت رهيب، وصارت كيت تنتفض من شدة الصدمة التي اصابتها من غرابة وغموض العلاقة القائمة بين والدها والحادث الذي حل بخالته. وتساءلت: لماذا يا ترى يظل الناس يذكرون ليلى كلما خطرت ببالهم ذكراها على انها ليلى دنتون بدلاً من السيدة مارلو؟ ثم علقت على اتهام والدها بذلك الحادث المشؤوم قائلة:

- لا شك انك جننت، يا والت!

- هل هذا كل ما يمكنك قوله بهذا الشأن؟

واقترب منها حتى كاد وجهه يلامس وجهها، ثم صرخ بوجهها قائلاً:

- تلك هي الحقيقة ولا شيء الا الحقيقة، وكل الاصابع تشير الى والدك بالاتهام.

- انا لا اصدق... لا يمكنني تصديق ذلك...

راقبته يائسة فيما كان يهز رأسه استخفافاً، ثم اردفت تقول بلهجة حادة:

- لكن كيف ولماذا فعل ذلك بها... ولماذا لم توجه اليه اية تهمة في حينه؟ ولماذا لم تجر اية تحقيقات؟ نعم، لماذا لم تقم العدالة بالتحقيقات اللازمة لجلاء الحادث... غريب! شيء غريب لا يصدق.

تلعثمت في الكلام، فصمتت قليلاً ثم عادت الى القول:

- انا لا اصدق... لا اصدق، هل تفهم، يا سيد والت! انني لا اصدق ولا افهم كيف تجرؤ على قول امور خطيرة كهذه!

- اجرؤ على الكلام لأنني ملم بجميع الأمور.

- انت؟ انت سمعت وعرفت كل شيء؟ كيف؟ وما الذي سمعته؟

- خالتي كانت مولعة بوالدك الى حد الجنون. ولم تتزوج والدي الا هرباً من الحياة التعيسة التي تعيشها. ثم تعرفت على والدك الذي كان سريع الاستجابة لشتى الاهواء والرغبات. لم يخطر ببالها يوماً ان احداً يعرف شيئاً عن علاقتهما. ولكنني عرفت كل شيء.

قال ذلك وصمت يفكر بينما بدت كيت مضطربة وهي تشهق وتتنهد بصعوبة، لا تدري كيف تدافع عن والدها، الى ان هدأت اعصابها قليلاً فحاولت الرد على اقواله. لكن والت كان اسرع منها في الكلام وتابع يقول:

- كانا يلتقيان عند البحيرة الطبيعية القريبة من الشاطىء. هناك كان ملتقاهما الدائم وان كانا يلتقيان في غير مكان. ذات مرة زعمت

انها ذاهبة لزيارة عائلة ماديسون، لكنها ذهبت لملاقاته في قطاع كالونغ. عرفت ذلك لأني تبعت اثرها حتى ادركتها. فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة ان قررا الهرب معاً.

كل ذلك وكيت تهز رأسها غير مصدقة وتتمنى لو كان بوسعها محو كل هذه الأقوال من ذاكرتها، وكلها اقوال تسيء الى سمعة وكرامة والدها العزيز جداً على قلبها. كان بودها ان تقول شيئاً لو استطاعت الى ذلك سبيلاً، لكنها بقيت عاجزة عن الكلام بعد كل ذلك الاحراج. فاكتفت بتمتمة بضع كلمات مبهمة، بينما تابع والت حديثه قائلاً:

- الحقيقة انا اصدق بأنك تجهلين كل تلك الأمور التي فاجأتك بالاطلاع عليها، يقيناً مني بان ليس هناك من يخبرك عنها. حتى والدي كان آخر من سيحدثك عن الموضوع وآخر من يسيء الظن بنواياه وتصرفات اقرب المقربين اليه من اصدقائه. علماً بانه كان يشتبه بوجود رجل آخر في حياة ليلى. اما والدك الذي تعبدين فما كنت اتصور يوماً انه سيبوح لك بالسر، طالما انه لم يملك الجرأة للذهاب الى ليلى التي انتظرته لمدة يومين دون فائدة ومعها بطاقتا سفر في حقيبتها استعداداً لرحيلهما معاً. لم يخنه الحظ وانما الجرأة هي التي خانته. ولما انتظرت على غير طائل وبدون ان ترى له اثراً، لم يعد بوسعها ان تتراجع بسبب البلبلة والقيل والقال فقررت وضع حد لحياتها بالطريقة المأساوية التي كثر الحديث عنها ولا يزال. اجل، الا يكفي كل هذا لالصاق التهمة بوالدك؟ بلى، يكفي. هو وحده المسؤول عما حدث.

تنهدت الآنسة كيت وردت عليه قائلة بهدوء وهي تتنهد:

- آه، بودي ان اصدق لو استطعت ولو كان ذلك معقولاً. لكن لا، لا تقل ذلك يا والت، حرام عليك ان تثير تهمة بعيدة عن التصديق. ومن ادراك ان ذلك الشخص كان والدي! الا يعقل ان يكون هناك شخص آخر؟

- انني املك الدليل، يا كيت. وجدت مذكراتها الخطية وقرأتها بعد ان كلفني والدي بترتيبها وجمعها ... اظنها كافية، أليس كذلك؟

استدارت كيت نحو البحر وراحت تطيل النظر اليه فلم تر سوى اشباح ماض بغيض متداخلة مع اشباح مستقبل جميل، وهي تصغي الى نبضات قلبها يردد حقيقة كل كلمة قالها والت. وتتصور الطريقة البارعة التي اتبعها في سياق حديثه عن ليلى، وعن والدها، وعن مجريات الأمور، انطلاقاً من ذلك اليوم الذي التقيا فيه وصارا يتواعدان على اللقاء خفية، ووصولاً الى ذلك اليوم المشؤوم الذي وضعت ليلى فيه حداً لحياتها بعد ان عجز حبيبها عن متابعة الشوط معها. ثم تدحرجت الدموع بغزارة على خديها وهي تتساءل والمرارة تحز في نفسها: هل كان والدي عديم الاخلاص والوفاء الى هذا الحد؟ غير معقول. انا لا اصدق. ربما اخطأ التصرف فحسبه البعض خيانة. هل كانت والدتي على علم بعلاقته مع ليلى؟ مسكينة، اذا كانت تعرف. ومن يدري! ربما كانت القصة من نسيج خيال والت بغية الوصول الى غرض ما. التفتت الى والت وسألته:

- ما زلت لا افهم المغزى الكامن وراء اطلاعي على تلك المأساة بعد مرور ١٥ سنة عليها، رغم انني لا ازال غير مقتنعة بها.

- استطيع اقناعك. اذا شئت!

وصمت. وكيت ظلت صامتة ايضاً وهي تفكر بوالدها المسكين ومتابعة رفضها تصديق روايته وتحديه الى ان تسمع الحقيقة من فم والدها بالذات. وبعد ذلك، سيكون لكل حادث حديث. ثم سألته بهمس:

- ماذا يفيدك ان صدقتك او اقتنعت بأقوالك، اذ ان ذلك لن يغير شيئاً الآن.

- ولهذا السبب اخبرتك ولأنني لا اريد ان يطرأ اي تغيير.

ومشى بسرعة نحو السيارة وقد شبك ذراعه بذراعها فاندفعت

هي الاخرى تمشي بجانبه حائرة ومرتبكة من هول الصدمة التي اصابتها على اثر الأقوال التي سردها لها. ولما وصلا الى السيارة، توقفت كيت وحدقت فيه بحدة ثم سألته وهي ترطب شفتيها بريقها:

- قل لي، يا والت، ماذا تريد مني؟

- هل لي ان افهم من نبرة سيدتي كيف ان شيئاً من التغيير طرأ عليها؟

قالها وهو يفتح باب سيارته.

- كان بامكاني ان اعرف... يجوز انني ذهبت ضحية لعملية ابتزاز وتشهير.

فرد عليها وهو يضحك ضحكة مصطنعة:

- لا شيء يستأهل هذه الاشياء الدراماتيكية. مهما يكن، لم اتوقع ان تأتي المصالحة بيننا بهذه السرعة.

- وليكن معلوماً لديك انني لن اسمح لك بابتزازي او تشهيري، لا معنوياً، ولا اخلاقياً، ولا من يحزنون.

- يؤسفني القول ان مجال الخيار ضيق للغاية.

- اجل، ما هو الثمن الذي تريده؟

- قد اكون صديقاً وفياً او عدواً لدوداً. اذا كنت تقدرين قيمة صداقة والدك، ارجو الا تتجاهلي ذلك في المستقبل. على فكرة، هناك شيء آخر يجب ان تفهميه وتتذكريه جيداً وهو الابتعاد عن براد شريدان، واعذر من انذر.

ثم ركبا السيارة وانطلقت بهما وهما غارقان في التفكير والحيرة.

٤ - لا أصدق

الآنسة كيت لم تنم تلك الليلة. كان بودها ان تنام كي ترتاح الى يوم حافل بالمفاجآت غير السارة، فلم تستطع. فالهواجس المقلقة، والحشرات المزعجة التي تكثر في المناطق الاستوائية اثناء الليل، والجو الساخن والمشبع بالرطوبة، تآلفت فيما بينها وتكاتفت ضدها لتجعل ليلتها جحيماً لا يطاق. وهكذا امضت الليل وكأنها تخوض معركة ضارية ضد الأرق والقلق دون ان تلوح في الأفق اية بادرة امل في الانتصار، وهي تتلوى، وتتأوه، وتتقلب في سريرها من ضراوة المعركة الجارية، ولم يغمض لها جفن الا بعدما اعياها التعب والارهاق مع اقتراب بزوغ الفجر.

والجدير بالذكر انه لم يسبق للآنسة كيت ان شعرت بمثل ما تشعر به الآن من حزن وأسى وقلق ورعب، رغم التجارب القاسية، وما اكثرها، التي مرت بها حتى الآن. ولعل ذلك يعود الى خطورة القضية التي كشف لها معظم ملابساتها وخيوطها السيد والت. وما ادراك ما يجوز ان تجره على العائلة بأسرها من ويلات ومصائب اذا صحت رواية السيد والت عنها. ومع ذلك كانت تميل الى الاعتقاد بأن القصة لفقها والت ونسج خيوطها من وحي خياله بقصد الابتزاز.

عندما استيقظت كانت تشعر نفسها رازحة تحت وطأة الهموم، وفكرت بان الشخص الوحيد الذي يمكنه اراحة ضميرها من كافة الهموم التي تخامرها وتنغص حياتها هو والدها. وحده والدها، اذا

وافق على ازاحة الستار عن خفايا وخبايا الحادث الذي اودى بحياة ليلي، يؤكد او يدحض صحة الرواية التي حكاها لها والت عن ذلك الحادث المشؤوم. وقررت بالفعل مفاتحة والدها بالموضوع والالحاح عليه حتى يعترف لها بالحقيقة. الا انها غيرت رأيها واجلت ذلك لمناسبة اخرى. فقد كان والدها مسروراً عندما جاء يودعها ويطبع على جبينها قبلة حنونة قبل ذهابه الى العمل، فعدلت عن مفاتحته بموضوع خطير كهذا لئلا تعكر عليه صفاء هذا النهار.

وما ان خرج والدها من المنزل حتى بدأت تفكر بما عساها تفعله اليوم لالهاء نفسها عن الهموم والظنون التي تخامرها من مجرد التفكير بما جرى بينها وبين والت ليلة امس. وبعد قليل استقر رأيها على الخروج من البيت والذهاب الى الشاطئ، حيث يمكنها القيام برحلة بحرية على متن يخت العائلة.

الا انها تريثت في الخروج وهي تفكر بالاسباب التي جعلت والدها، في المدة الأخيرة، يلجأ الى تقتير نفقات المعيشة الى حد التقشف. فتصورت ان والدها انما لجأ الى تخفيض نفقات المعيشة كي يتمكن من دفع بعض المال للسيد والت ليشتري به سكوته عن تورطه في الحادث الذي تعرضت له ليلي. وتساءلت: هل يحاول والت ابتزاز المال من والدي بطريق التهديد او التشهير به؟ ربما. ولكن يجب معرفة الحقيقة قبل اتهامه بممارسة عملية الابتزاز، ومن ثم التصدي له لايقافه عند حده.

والحقيقة ان معرفة ما اذا كان السيد والت يمارس عملية ابتزاز المال من والدها بسيطة جداً. اذ يكفي مراجعة دفاتر شيكاته لمعرفة الخبر اليقين. وهكذا سارعت الى خزانته ففتحتها وبدأت تفتش عن تلك الدفاتر. فلم تجدها هنا وانما وجدتها موضوعة في احد ادراج مكتبه. وراحت تقلب كل ارومة من ارومات تلك الشيكات المحررة والمسحوبة، وتدقق في المبالغ المسحوبة واسماء الاشخاص المدفوعة لأمرهم لغاية ان انتهت. وكم كانت دهشتها عندما اكتشفت ان والدها لم يحرر شيكاً واحداً من بين جميع تلك الشيكات المسحوبة

لصالح السيد والت. عند ذاك تأكدت بان عملية ابتزاز المال غير واردة. ولكنها لم تستبعد لجوء السيد والت لابتزاز المال من والدها عن طريق الميسر. وهذا ايضاً مسلك خطير يسلكه والدها لتبذير المال سدى، غير انه يبقى دون التهمة - اذا صحت - التي يتبرها والت الآن بحقه من حيث الخطورة والفظاعة، وما يمكن ان يترتب عليها من مسؤوليات معنوية واخلاقية جسيمة.

ويبدو ان هذا الاكتشاف اشعرها ببعض الارتياح النفسي، فعادت تفكر جدياً بالخروج لتمضية بقية النهار في نزهة، في عرض البحر، على متن يخت العائلة. وهكذا حملت بين يديها بعض المأكولات الجاهزة، وثياب السباحة، وخرجت وسارت في طريقها نحو الشاطئ.

كان البحر هادئاً، ونسيمه منعشاً يخفف كثيراً من حدة الحرارة، الأمر الذي اشاع بعض الارتياح في نفسية كيت وهي تعد العدة للصعود الى اليخت، ومباشرة تجهيزه استعداداً لركوب البحر على متنه، والتمتع ما امكنها بالراحة والاطمئنان. وما لبثت ان رفعت المرساة، ثم شغلت المحرك وانطلقت به في عرض البحر، وهي جالسة في المؤخرة، وقابضة على الدفة بيدها، توجه بها حركة سيره.

ورغم اشعة الشمس اللاهبة، وارتفاع درجة الحرارة، يمكن القول ان كيت فعلت حسناً بمجيئها الى البحر. اذ ان الرحلة البحرية انعشت نفسها وخففت كثيراً من حدة الهموم التي انتابتها. هكذا كان شعورها حينما عادت ادراجها نحو الشاطئ، حيث القت المرساة، ونزلت الى البر.

لكن يبدو ان المتاعب ترفض الا ان تظل تطاردها لتعود بها الى نقطة الصفر، من حيث تدري او لا تدري. ذلك لأنها لم تكد تستلقي على الرمال حتى فوجئت بحركة تدور خلف ظهرها، فاستدارت لتجد السيد شريدان واقفاً بجانبها ويباغرها بقوله:

- وجدتك، يا كيت!

- ومن ذا الذي حملك الى هذا المكان؟

كانت غير مصدقة ما اذا كانت في الحلم ام في اليقظة.

- جئت لوحدي. ذهبت الى البيت لأراك فلم اجد احداً هناك، فقلت لنفسي لا بد ان تكوني هنا، وصدق حدسي.

سألته:

- وماذا تريد مني حتى جئت تبحث عني!

- جئت لكي اعتذر لك شخصياً عما جرى امس.

- ما جرى امس اصبح في خبر كان، علماً بان الذي جرى امس لا يهمني اطلاقاً. فهذا من شأنك وحدك ولا شأن لي به اطلاقاً.

- غير معقول ان يكون هذا الحديث من قلبك... انا لا اصدق ما اسمع.

- بل، صادر من صميم قلبي هذا الكلام. ويجب ان تصدقي كل حرف منه.

- سامحك الله، يا كيت! انت معذورة وانا اخطأت معك وجئت لكي اعتذر لك واوضح لك حقيقة ما جرى لي امس بدون لف ولا دوران.

- لا حاجة الآن، يا جواد... ارجوك ان تعفيني من كل هذه الأمور، فعندي ما يكفيني ويزيد من همومي واحزاني... هل لك ان تؤجل قصتك الى وقت اخر اكثر مناسبة! ارجوك ان تتركني وشأني، واذهب واسبح وامرح ما طاب لك.

ولكنه رفض ان يكف عن محادثتها او ان يذهب بعيداً عنها ليسبح ويسرح ويمرح كما طلبت منه. وبدلاً من ذلك صار يقترب منها حتى كاد يلمسها وهو يتكلم ولسانه لا يتوقف عن الكلام. كان معظم حديثه يدور حول الاسباب التي جعلته ينكث بوعده لها نهار امس، ويخرج برفقة ايلين. حاولت ان تصده عن الكلام فلم يمتثل، وظل يحكي ويحكي غير آبه بمطالبها المتكررة، وهي تتظاهر باللامبالاة.

حكى لها القصة من البداية الى النهاية. وكيف انه فوجىء عشية اليوم السابق لخروجهما معاً بخبر ان ايلين وضبت حوائجها وتركت البيت، تاركة لزوجها المسكين رسالة مختصرة تقول له فيها انها ذاهبة

ولن تعود للعيش معه بعد اليوم، مما اثار جنون السيد ركس - زوج ايلين - واقلقه هو على المصير الفاجع الذي ينتظر احد مهندسي الشركة اللامعين، الا وهو السيد ركس بالذات.

وهنا كان على شريدان ان يفعل اي شيء، وان يبذل كل جهد مستطاع، في سبيل اعادة العائلة الى سيرتها الطبيعية، ليس اكراماً لسواد عيون ايلين، وانما اكراماً للمهندس ركس وحرصاً على كرامته وسمعته الاجتماعية، وعلى وضعه الخاص في الشركة. فذهب لتوه يبحث عنها ويقنعها بالعودة عن قرارها والرجوع من ثم الى منزلها الزوجي لتعيش مع زوجها بسلام. فتش عنها في اكثر من مكان، فلم يجدها. ولما اعياه التعب من كثرة البحث والتنقل من مكان الى آخر، ذهب ونام على امل متابعة البحث عنها في اليوم التالي.

ما ان استيقظ في الصباح حتى غسل وجهه ولبس ثيابه وخرج وهو يأمل بالعثور عليها قبل ان يحين موعد خروجه مع كيت الساعة الثامنة مساء من اليوم عينه. فتوجه الى بيوت معارفها علّه يجدها عند احدهم، فخاب امله. ومع ذلك، لم يتوقف عن البحث والتفتيش، اذ قيل له ان ايلين كانت مصممة على ترك زوجها بصورة نهائية، وذلك بسبب اصرارها على عدم انجاب الأولاد منه كثمن لبقائها في عصمته، بينما كان ركس يصر على ان يكون له اولاد يحملون اسمه وذكره من بعده. والمصيبة الكبرى التي يواجهها السيد ركس الآن هي ان زوجته كانت حاملاً وتصر على التخلص من حملها، والا تركته وعادت الى اهلها المقيمين في لندن.

اصبحت الآنسة كيت، عند هذه النقطة من حديثه، تبدي بعض الاهتمام لسماع المزيد ومعرفة النهاية. وتابع شريدان حديثه وهو يضغط على كتفيها بيده حيناً، ويلكزها حيناً آخر، الى ان انتهى الى القول بأنه، بعد ان امضى وقتاً طويلاً في البحث عنها دون ان يتوصل الى اية نتيجة، اضطر الى ان يعتذر لها عن الخروج معها في تلك الليلة، فأرسل لها تلك الرسالة بدافع حرصه على اعطائها وقتاً كافياً

لتدبير ما تراه مناسباً لقضاء السهرة بدونه في غير مكان، وليس بقصد النيل منها، او احراجها، او عدم الوفاء بوعده لها. بل على العكس من ذلك كان يتطلع بشوق ولهفة الى ان يحين الموعد لموافاتها ومرافقتها كما وعدها لولا انشغاله على غير طائل بالبحث عن ايلين واعادتها الى الحظيرة الزوجية.

ولم يكن اللقاء في النادي، هي والسيد والت من جهة، وهو وايلين من جهة اخرى، الا مصادفة. والدليل على ذلك انهم التقوا فيما كانت هي ووالت داخلين الى النادي، وايلين وهو يهمان بالخروج منه. فقد كان ذاهباً معها لايصالها الى البيت، والمرور عليها بعد ذلك للخروج معاً وقضاء السهرة في [illegible] مكان. لكنه [illegible] لم يتمكن من تنفيذ الوعد في الوقت المناسب، الا انه امضى وقتاً طويلاً يحاول اقناع السيد ركس بضرورة السماح لزوجته بالسفر الى لندن تلافياً لحدوث ما لا تحمد عقباه، وربما انتهت المشكلة الى فاجعة، خاصة اذا حاولت ايلين التخلص من العذاب الذي تعانيه بطريقة او باخرى، تحت وطأة الحر الشديد وموسم الرياح الموسمية الذي صادف حلوله مع حملها، بحيث اصبحت تشعر بحياتها كأنها اسوأ من الجحيم. وهكذا لم تذهب جهوده سدى، [illegible] اقنع السيد ركس بالفكرة، فكرة تسفير زوجته الى انكلترا لتمضية فترة غير قصيرة في بيت اهلها، حيث المناخ لا يشكل ضغطاً ولا ضرراً على الحوامل من امثالها.

وما ان انهى حديثه عن مشكلة ايلين وركس، ولمح الاهتمام الذي كانت تبديه لحديثه، واقتناعها بصحة ما ذهب اليه في معرض تبرير تخلفه عن خروجه معها ذلك اليوم، حتى طفق يراودها عن نفسه ويعبر عن مدى المودة التي يكنها لها في قلبه، وهو يقترب منها ليحاول عناقها. لكنها صدته عنها بلباقة وهي تبتعد عنه، وتشير عليه بيدها ان يؤجل اهتماماته الى وقت اخر اكثر مناسبة، لا سيما وان الجو كان ينبيء بهبوب عاصفة وشيكة، تقضي عليهما باللجوء الى مكان ما هرباً منها بدلاً من اللهو الذي سرعان ما تتبخر نتائجه في

الهواء.

الا ان محاولة كيت لم تعجبه وهو الذي يتباهى بقدرته الخارقة على استمالة اية فتاة، مهما كانت محافظة او سليطة اللسان او شرسة الطباع، للتصرف وفقاً لرغباته واهوائه. فتأملها طويلاً ولسان حاله يقول: من تحسب نفسها تكون؟ وغابت البسمة عن وجهه، ثم سألها بلهجة جدية ورزينة:

- كيت، هل لك ان تخبريني عن سر العلاقة الوطيدة والحميمة القائمة بين والدك والسيد والت منذ زمن طويل؟

[illegible] عليه وقد صدمها سؤاله [illegible] هذا.

- بالكاد استطيع وصف علاقتهما بالصداقة الحميمة. لكن، لم السؤال وانت تعرف انهما زملاء في العمل منذ زمن بعيد!

- دعينا من التلاعب بالالفاظ وسمي العلاقة القائمة بينهما كيفما تشائين، سواء كانت صداقة حميمة او مجرد علاقة شخصية، لا فرق. ولكن لا يمكن تجاهل العلاقة الوطيدة القائمة بينهما منذ سنوات.

- وماذا يعني ذلك؟ وماذا يهم!

- اريد ان اعرف منك ما اذا كان والت يفرض [illegible] على والدك.

- ياله من سؤال عجيب لا يستحق مجرد الرد عليه بكلمة واحدة!

- كذا!

- نعم بل ايضاً، سؤال لا يحق لك ان تطرحه.

- بل يحق لي ان اسأل هكذا سؤال.

قال ذلك وصمت وهو يحدق في وجهها بجدية وتجهم، بينما ظلت هي صامتة تفكر بعدم التورط معه في اية مشكلة يمكن ان تؤدي الى عواقب وخيمة بالنسبة الى والدها، خاصة بعد ان تذكرت ان للسيد شريدان، وهو الذي يمثل ما يمثل في الشركة، ناهيك عن المهمة التي جاء من اجلها الى ماهور للتدقيق في اوضاع الموظفين، تذكرت بان للسيد شريدان الحق في توجيه مثل تلك الاسئلة لأي موظف كان يعمل في

الشركة. ولكن لا يحق له ان يطرح عليها اسئلة من هذا النوع لانها ليست موظفة في الشركة. وهكذا، افهمته ذلك بكل صراحة، ونصحته بالذهاب وطرح اسئلته على السيد والت، او على والدها، لا فرق عندها. قالت ذلك وهبت واقفة واسرعت الخطى بعيداً عنه، حتى توارت عن الانظار. غادرت المكان متوجهة الى البيت، قبل ان يتسنى له ان يلحق بها ويستبقيها حتى يغير ثيابه ويرافقها.

ما ان وصلت الآنسة كيت، واستحمت واستراحت قليلاً حتى فوجئت بمن يدق على بابها فقامت وفتحت لتجد السيدة فاي قادمة لزيارتها وملامح البهجة والفرح طافحة على وجهها.

الحقيقة ان السيدة فاي فاجأتها بهذه الزيارة كي تطرح عليها موضوع اشتراكها في معرض للازياء الشرقية والغربية، تنوي السيدة فانهان اقامته قريباً في ماهور، وتخصيص ريعه لبعض المشاريع الخيرية والاجتماعية. ونصحتها بالموافقة على الاشتراك في العرض نظراً للفائدة الكبرى التي ستجنيها من ورائه بفضل خبرتها الطويلة في هذا المجال، وشهرة السيدة فانهان الاجتماعية والمكانة المرموقة التي تحتلها في المجتمع.

صحيح ان الآنسة كيت ترددت في الموافقة على الاشتراك في العرض المذكور بسبب همومها ومشاكلها الشخصية، والقلق الذي كان يخامرها بالنسبة الى ما يهدد مستقبل والدها من جراء التحقيقات التي يقوم بها السيد شريدان، والنوايا الخبيثة التي يكنها السيد والت نحوه، ناهيك عما كان يشغل بالها حول صحة والدتها ونتيجة عمليتها الجراحية. الا انها عادت ووافقت على الاشتراك في المعرض، علّه يكون فرصة مناسبة لها للتغلب على بعض ما يراود خاطرها من هموم ومتاعب هي بغنى عنها. ثم خرجتا معاً لتذهب فاي الى الفندق كي تبلغ السيدة فانهان موافقتها على الاشتراك في المهرجان، وكيت الى السوق لشراء بعض الاشياء الضرورية.

٥ - رحلة ليست للنسيان

عندما عادت الآنسة كيت الى المنزل وجدت رسالتين بانتظارها، واحدة من السيدة فانهان ضمنتها رقم هاتفها، وامليها بأن تتصل بها في المساء. والثانية من السيد والت يخبرها بانه قد يتأخر عن الموعد المضروب ليضيع هناك، ولكنه سيكون هناك قبل الساعة الثامنة بكل تأكيد.

تناولت رسالة السيد والت فكرمشتها بيدها ثم القتها في سلة المهملات وهي تقول لنفسها: لو يتأخر بضعة ايام او اسابيع لكان يعفيني من مشقة الخروج معه الليلة. ليته يفعل، ولكن كلمة يا ليت لا تصلح مع هذا الانسان، على ما يبدو. ثم فكرت بالاتصال بالسيدة فانهان حتى اذا ردت كان به، والا عاودت واتصلت بها عند المساء كما طلبت منها. مجرد محاولة قد تنفع ولا تضر.

نجحت المحاولة، وكانت السيدة فانهان هي التي ردت عليها شخصياً بلهجة بشوشة، خاصة بعد ان عرفتها بنفسها. وبعد ان تبادلتا كلمات الترحيب والمجاملة، اعطتها السيدة فانهان لمحة مختصرة جداً عن المشروع الذي تنوي تنفيذه، على امل ان تبحثه معها بالتفصيل عندما تلتقي بها. ويبدو ان كيت احبتها بمجرد ان سمعت صوتها عبر الهاتف، اذ تجاوبت معها دون تردد ووعدتها بالتعاون معها في اقامة معرض الازياء الشرقية والغربية على السواء. اخيراً تواعدتا على اللقاء في صباح اليوم التالي، على ان تبقى كيت

عندها لتناول الغداء.

ما ان اعادت كيت السماعة الى مكانها حتى بدأت الافكار تتدافع في خيالها كأنها تشعر نفسها مكلفة باجراء الاستعدادات لاقامة المعرض المذكور، وهي مأخوذة بما عبرت لها السيدة فانهان من كلمات الترحيب والتشجيع والتقدير رداً على موقفها الايجابي للتعاون معها في شتى المجالات، وعلى مختلف المستويات. وكان من الطبيعي ان يثير ذلك الحماس والبهجة في نفسها بعد فترة من الركود والجمود احدثت فراغاً رهيباً في حياتها، واشاعت موجة عارمة من الضجر والكآبة في نفسها. وباتت تعتبر ان هذه الفرصة، فرصة انهماكها في تنظيم واقامة المعرض، سيكون من شأنها ان تسد ذلك الفراغ الكبير في حياتها، وان تنسيها مرارة الآلام والاحزان الغارقة فيها حتى الاذنين.

وسرعان ما اندفعت الى العمل بحماس منقطع النظير، فانزوت في غرفتها لتضع على الورق الخطوط العريضة لبعض الافكار التي بدأت تراودها قبل ان تطير من خيالها، تمهيداً لمناقشتها مع السيدة فانهان واعتماد ما يتفق منها مع البرنامج المبدئي للمشروع. وهكذا امضت وقتاً طويلاً وهي مشغولة بغربلة افكارها وبلورتها دون ان تشعر بمرور الوقت وكأنها بدأت العمل منذ دقائق. ولا عجب من ذلك اذ ان الزمن يتسارع بالنسبة الى حجم العمل ووفرته. ولو لم يدركها والدها بعد طول انتظار لكانت واصلت العمل حتى الفجر من حيث لا تشعر ولا تدري.

سألها وهو يرفع حاجبيه مداعباً وباسماً:

- ها، ها! كل جديد له طنة ورنة! يبدو انها اقنعتك بسرعة وسهولة.

- نعم، يا والدي العزيز، اقنعتني لأن في نفسي حنيناً الى عمل اي شيء ينسيني الضجر الذي يكاد يقتلني.

- عظيم، عظيم، يا كيتي! مبروك مع تمنياتي بالنجاح.

وبعد ذلك، حدثته عما جرى بينها وبين السيدة فانهان من حديث اثناء المخابرة الهاتفية التي اجرتها معها، ثم استأذنت بالذهاب كي تستحم وتغير ثيابها استعداداً للسهرة مع السيد والت تلك الليلة.

ذهبت الى الحمام وهي تشعر بالقلق على والدها من جراء ملامح التعب والارهاق البادية بوضوح على محياه. وتمنت بحرارة ولهفة لو انه يرضى ان يصارحها بمكنون صدره من مخاوف ومتاعب، لكان باستطاعتها ان تمده بالعون الكافي للوقوف بوجه مناورات السيد والت وصد محاولات الابتزاز التي يمارسها نحوه، والتعاون معه في مواجهة الصعوبات التي يحاول السيد شريدان ان يثيرها بوجهه، ولسان حالها يقول:

- كل شيء يهون في سبيل راحتك وسعادتك، يا والدي الحبيب، ويا اعز من نور عيني... انا ادرك تماماً انك تتحمل كل هذا العذاب وتطوي الآمك بين الضلوع بدافع حبك لوالدتي وحرصك الشديد على توفير الهناء والراحة لها.

كانت لا تزال غارقة في افكارها، عندما وصل السيد والت، قبل الثامنة ببضع دقائق. وقد اثار منظره الاشمئزاز والقرف في نفسها، خاصة بعد ان ترجل من السيارة وسار نحو الباب بغرور وعظمة كأنه سلطان زمانه، يتصور نفسه ماشياً على الارض وسط هالة وهيبة من العظمة والابهة. فلو كان يدري مقدار كرهها له وتأففها من انشاء اي نوع من العلاقة الشخصية او الصداقة بينها وبينه، لكان توارى عن الانظار خجلاً. لكن ما حيلة الآنسة كيت وهي التي كتب عليها ان تعاشر امثاله، لا لشيء الا بدافع ابعاد الكأس المرة عن شفتي والدها.

بعد لحظات ركبا السيارة، وانطلقت بهما الى حيث يريد قضاء السهرة، على انغام الموسيقى التي يبثها راديو السيارة، والبرودة الصادرة من مكيف الهواء.

كان والت فرحاً للغاية وهو يقود السيارة وعيناه شاخصتان الى

الأمام، دون ان يمنعه ذلك من الميل نحوها ليلامس وجهه وجهها كلما اهتزت السيارة، وارتفعت وهبطت اثناء سيرها. وصلت السيارة الى مشارف ضواحي المدينة فقال لها:

- ما رأيك ان نذهب ونسهر في مكان آخر غير النادي! لقد سئمت من رؤية تلك الوجوه ذاتها كل ليلة وبودي التعرف على بعض الوجوه الجديدة.

وافقت على الفور وهي تشعر بالارتياح لأنها ستكون بعيدة عن انظار السيد شريدان واستفزازه اذا رآها برفقة والت في النادي. وسألته:

- الى اين تفكر ان نذهب؟
- احب ان نذهب الليلة الى مطعم العشاق.
- وهو كذلك، حبيبي!

قالت ذلك بلطف وادب، واضافت:

- انها فرصة ذهبية تتيح لي ان اتذوق اطباقه الشهية.
- فرصة لن تنسيها ابدا!

وصلا الى المطعم ودخلاه وهو يكاد يطير من الفرح برفقتها. كان يعاملها بحرارة وشوق لم تعهدهما فيه من قبل. وكان سخيا الى ابعد الحدود، فطلب اغلى واطيب المأكولات وافخر انواع المشروب. اكلا وشربا على انغام الموسيقى الناعمة. كان كريما لدرجة ان الآنسة كيت لم تتمالك نفسها من ان تتساءل بدهشة: ترى، من اين يأتيه كل هذا المال الذي يصرفه دون حساب بالاضافة الى الخدم والحشم، وشقة خاصة، وهذه السيارة الفخمة التي تكلف آلاف الجنيهات؟

ثم حدث ما لم يكن في الحسبان اذ تراءى لكيت شبح السيد شريدان يقترب من مكانها وهو يتأبط ذراع السيدة فاي. فتجهم وجهها، وتعثرت الكلمات في حلقها، خاصة بعد ان اقتربت منها فاي وحيتها قائلة وهي تبتسم:

- مساء الخير يا كيت! انني اتصوركما اشبه بعالم صغير قائم بذاته.

فرد عليها والت قائلاً بعد ان لاحظ كيت واجمة:

- احسنت احسنت يا فاي.

وخاطب كيت بعد ان نهضت من مقعدها:

- لقد اصابت الهدف، اليس كذلك!
- لا تقولا انكما ذاهبان!

استطردت فاي وهي تلوح باصبعها مداعبة.

لم تحرك كيت ساكنا، او تشترك في الحوار لا من قريب ولا من بعيد. وانما ظلت واقفة مذهولة من هول الصدمة التي اصابتها من جراء نظرات شريدان الباردة التي اثارت في نفسها قشعريرة من السخط والاشمئزاز، وهي تقارن بين اندفاعه لمجاملتها والتودد اليها في الامس القريب وبين لا مبالاته وتجاهله اياها الآن، وكأنه لم يسبق له ان رآها في حياته بالمرة، لدرجة انها لم تعد تطيق البقاء ولو لحظة واحدة، بعدما رأته يقترب من رفيقته فاي ليقول لها:

- كفى يا فاي، هيا نغادر المكان قبل ان نقترف ما في [illegible] مال. لم يلتفت الى كيت او يقل لها ولو كلمة ترحيب واحدة، او مجرد اشارة ودية من رأسه، مما افقدها صوابها. فهرولت مسرعة الى الخارج، ليتبعها والت على الفور وهو يلومها على فقدان اعصابها وسوء تصرفها.

وكانت هذه هي المرة الأولى في حياتها التي تشعر خلالها كم كانت بحاجة للبكاء. وكادت الدموع تنهمر من عينيها، والغصة تخنق انفاسها، لو لم تردعها عن ذلك ارادتها القوية وتهيب بها للتعالي فوق مثل تلك الصغائر والتصرفات الغريزية، وهي تحدث نفسها بعد ان استفاقت من ذهولها: رب ضارة تكون نافعة. ويا حبذا لو تكون هذه الصدفة الغريبة خاتمة الأحزان. فلا مجال لاعادة عقارب الساعة الى الوراء. . . .

وحسبها الآن انها تعلمت درساً بالغاً هيهات ان تنساه. اذ باتت تفكر بان لا مفر لها من مواجهة الاقدار التي تحملها الأيام، وبأن

تتطلع بأمل الى المستقبل الذي اتضحت معالمه امامها وتكونت من خلال ارتباطه بالماضي، دون ان يشغلها اي شيء عن الاهتمام بمستقبلها وسعادتها، ومستقبل وسعادة والديها.

الا ان اللقاء الذي جرى بينها وبين السيدة فانهان، في صباح اليوم التالي، بدد هواجسها واعادها الى حالتها الطبيعية، وذلك بفضل الاستقبال الحار الذي لقيته منها. ولا عجب في ذلك، فهذه السيدة كانت مشهورة في الأوساط الاجتماعية بمزاياها الرفيعة واخلاقها العالية وثقافتها الواسعة، بالاضافة الى اعمالها الخيرية وحدة ذكائها، وبشاشتها واريحيتها.

حالما وصلت كيت الى الفندق، وجدت السيدة فانهان بانتظارها لتستقبلها ببشاشتها المعهودة، وترافقها الى جناحها الخاص في الفندق الذي نزلت فيه، وهي تلاطفها وتكرر شكرها لها على قدومها وقبولها التعاون معها في اقامة معرض للازياء في ماهور، مما اشاع في نفس كيت شعوراً بوجود الفة متبادلة بينها كانت دفينة فاستيقظت الآن بعد ان تم اللقاء.

وبعد استراحة قصيرة للتعارف والدردشة وشرب القهوة، انتقلتا الى بحث موضوع المعرض، بصورة مبدئية، على ان يتبع ذلك جلسات اخرى تبحثان خلالها احتياجات المعرض بالتفصيل. وكم كانت دهشة السيدة فانهان عندما علمت من الآنسة كيت بان المعرض يحتاج الى كل تلك الأمور والتدابير التي عرضتها امامها مكتوبة على الورق، فضلاً عن الازياء المطلوبة لعرضها امام الناس. ولكن كيف السبيل لاقامة معرض بهذا الحجم والنوع في منطقة تندر فيها الازياء الحديثة ودورها، ولا يوجد فيها مصمم واحد من مصممي الازياء النسائية او الرجالية؟ تلك كانت المشكلة الاساسية التي طرحتها كيت امام مضيفتها، والتي يستحيل معها اقامة المعرض اذا بقيت بدون حل. ولم يكن يبد كيت اي حيلة لتجاوز هذه المسألة طالما ان جميع معارفها، من مصممي ازياء، وعارضي ازياء، وتجار

ازياء، يعيشون في لندن. وهنا اقترحت على السيدة فانهان، اما ان تطلب مجموعة من الازياء الحديثة وتنقلها من هناك الى ما هور بالطائرة، واما ان تسافر الى سنغافورة فتختار بنفسها تشكيلة واسعة من احدث الازياء المعروضة هناك، لا سيما الازياء الصينية منها، وتحملها معها، هذا اذا كانت ميزانية المعرض كافية لسد كل مثل هذه النفقات.

وكم كانت دهشة كيت عندما وافقت السيدة فانهان على تلك الفكرة بدون ادنى تردد وهي تطمئنها الى وجود المال الكافي لمواجهة كافة الاحتمالات والاحتياجات. المال موجود بوفرة، وما يهمها بالدرجة الاولى هو ان ينجح المعرض، بغض النظر عن كافة الصعوبات المتوقعة. ولا يمكن تصور التجاوب الذي لقيته افكار كيت لدى السيدة فانهان، لا سيما تلك التي تتعلق بتقسيم صالة المعرض الى جناحين، واحد لعرض الازياء الاوروبية، والثاني لعرض الازياء الشرقية، مع انشاء مسرح تقدم عليه حفلات موسيقية واخرى في رقص الباليه، نظراً للاقبال الكبير الذي كانت تتوقع للمعرض ان يشهده بسبب تصادف اقامته مع انعقاد المؤتمر العالمي للتنمية فيه. ولم تنس ان تلفت انتباهها الى اهمية التزام مجموعة شركات ماهور بتطوير مصادر اندونيسيا والملايو الطبيعية والاقتصادية، لا سيما موارد النفط والمعادن والمطاط.

- وحري بنا ان نسهم، من خلال نشاطنا المتواضع في اثارة اهتمام زوجات المندوبين القادمين لحضور المؤتمر المذكور بما يجري في هذه الديار.

الى ان انتهت الى القول وهي تبتسم:

- سوف افعل المستحيل في سبيل انجاح هذا المعرض، بيني وبينك، يا آنسة كيت. سأقوم خلال المعرض بحملة لجمع التبرعات لتوزيعها على المحتاجين... وما اكثرهم!

وصمتت وهي تعيد النظر في بعض الملاحظات الخطية التي

وضحتها كيت سابقاً، ثم سألتها:

- هل يمكنك ان تضحي ببضعة ايام للسفر معي الى سنغافورة؟ سأحتاج الى خبرتك وتوجيهاتك واتمنى ان تكوني بجانبي كلما احتجت اليك.

- متى؟

- بأسرع وقت ممكن. بوسعنا السفر على متن الطائرة المتوجهة الى هناك يوم الخميس المقبل.

وترددت كيت لحظة وهي تفكر بان لا شيء هناك يمنعها من السفر في ذلك الحين، ما دامت موافقة والدها مضمونة، وطالما ان الخادم بقي قادر على الاهتمام بشؤون البيت اثناء غيابها. فتصورت السيدة فانهان ان كيت تفكر بتدبير نفقات الرحلة المزمعة اللازمة لها، اذ قالت لها مستدركة هذا الامر:

- ومن الطبيعي انني سأتحمل كافة النفقات المطلوبة للقيام بهذه الرحلة.

- وما كنت افكر بذلك، يا سيدتي.

- اجل عفوك اذا كنت اسأت فهم ما كان يجول في خاطرك.

وصمتت لحظة تتأملها، ثم سألتها:

- هل تتوقعين عودة والدتك من لندن قريباً؟

- لا اعرف بالضبط متى ستعود... لكننا نتوقع ان تصلنا رسالة من عمتي في اية لحظة... وهي ستخبرنا عما اذا كانت والدتي اجرت العملية ام لا.

- سلامتها... اتمنى ان تعود اليكم قريبا لتكتمل الفرحة ويجتمع الشمل.

واكدت لها ان ليس في نيتها ان تحملها فوق طاقتها، وما عليها الا ان تصارحها القول ما اذا كان باستطاعتها مرافقتها الى سنغافورة، ام لا. المهم ان لا تكون الرحلة مصدر ازعاج لها، وحسبها ان لا تبخل عليها بالمشورة كلما احتاجتها.

غير ان كيت بددت كل تلك المخاوف والتساؤلات التي تراود خاطر السيدة فانهان عندما عبرت لها عن سرورها للتعاون معها في اقامة المعرض وانجاحه وهي تؤكد لها ان سرورها سيفوق كل تصور اذا سمحت لها بوضع جميع ترتيباته بنفسها، كما لو كانت تتصور ان هذا المعرض سيكون بالنسبة اليها بمثابة فرصة العمر، بحيث سيتاح لها اثبات وجودها في عالم الازياء بعد سنوات طويلة امضتها وهي تعرض الازياء امام المشاهدين وحشد هائل من المصورين. وهكذا وافقت على السفر معها لتمضية بضعة ايام بعيداً عن هموم الحياة المملة ومشاكلها هنا.

لم تكن السيدة فانهان اقل سروراً منها لدى سماعها خبر الموافقة بعد كل ذلك الترقب والتردد من قبل الآنسة كيت. فشكرتها ووعدتها بان الفرصة التي كانت تحلم بها اصبحت متوفرة امامها، ويبقى عليها الا تدعها تفلت من بين يديها.

ثم انتقلنا الى المائدة لتناول طعام الغداء بدعوة سابقة من السيدة فانهان.

اقلعت الطائرة من مطار ماهور بعد منتصف ليل الخميس بقليل لتحط في مطار سنغافورة الساعة الثامنة والنصف صباح اليوم التالي. وما ان انتهتا من اجراء المعاملات اللازمة حتى استقلتا سيارة اجرة نقلتهما الى فندق رافلز المشهور بحسن ضيافته وخدماته وطرازه الشرقي، حيث سبق للسيدة فانهان ان حجزت لهما غرفتين بواسطة التلكس. فمكثتا فيه طيلة فترة قبل الظهر للاستراحة والاستحمام والغداء.

ما ان اعلنت اشارة الوقت الثالثة حتى نشطت الحركة، حركة السيدة فانهان، والى جانبها كيت التي لم تكن اقل اندفاعاً في العمل والنشاط. وقد استهلتا نشاطهما بالتوجه الى مركز السيدة كي لون، وهي مصممة ازياء صينية مشهورة في سنغافورة، بناء على توصية من زوجة مدير الفرع الشرقي في المؤسسة التي تعمل فيها، على ان تقوما

باتصالات مماثلة فيما بعد بعارضي ومصممي الأزياء الآخرين. كانت تضع كل ثقتها في السيدة كي لون، وتعول عليها كثيراً نظراً لشهرتها الواسعة. وفي حال خيبت الآمال فسيكون لكل حادث حديث. فلديها عشرات الاسماء ممن يمكنها الاتصال بهم ساعة تشاء.

الا ان السيدة كي لون كانت عند حسن ظنها بها. فبالاضافة الى الاستقبال الحار الذي لقيناه منها، وجدنا عندها من الازياء الشرقية، ومن التجاوب معها لتصميم كافة الازياء التي تطلبانها، ما يفوق التصور والتوقعات، وخلافاً لما يمكن ان يتوقعه انسان من هذا المكان الضيق الذي يعطي عالم الازياء مجموعة هائلة من التصاميم الشرقية، والصينية بصورة خاصة. وكأنه عالم مصغر لاستحداث الازياء واللحاق بأحدث ما يعرض منها في مختلف الأسواق المحلية والعالمية. وكم كانت دهشتها عندما اكتشفنا ان للسيدة المذكورة ابنة مشلولة تدعى كيم وهي التي كانت العقل المدبر، واليد الماهرة، وراء كل ما تنتجه والدتها من ازياء غاية في الروعة والجمال.

والحقيقة ان تلك الفتاة الصينية المشلولة كانت تجسد القول المأثور القائل بان كل ذي عاهة جبار. اذ كانت تخطط وترسم وتبتكر احدث الازياء وارواها وهي مشدودة الى كرسيها. هكذا شاهدناها عندما دخلنا الى الزاوية الضيقة التي كانت تقيم فيها، وتعمل فيها بواسطة ادواتها المتواضعة، تحت وطأة الحرارة والرطوبة، بدون كلل او ملل. وهنا ايقنت كيت عظمة الانسان الذي يملك التصميم والارادة على الحياة في سبيل البقاء.

هذا وفيما كانت السيدة الصينية تحدثها عن حياة ابنتها كيم، وعن ظروف اصابتها بالشلل، وعدم توفر الامكانات الطبية لمعالجتها في هذه البلاد. وعجزها عن نقلها الى العالم الغربي للمعالجة هناك بسبب ضيق يدها، وما الى ذلك من شؤون وشجون، كانت كيم تقلب مجموعة من مجلات الازياء الغربية بحثاً عن احدى المجلات التي كان غلافها يحمل صورة فتاة مشابهة لوجه الآنسة كيت. حتى اذا

وجدتها وتأكدت من تطابق صورة الغلاف مع وجه كيت الواقفة امامها، تناولت ورقة ثم راحت ترسم عليها شخصية كيت، مع ثوب فضفاض لا اروع ولا ابهى، ضمن اطار فني غني في معالمه ومظاهره بحيث يبدو المنظر متكاملاً في ترابطه بين الانسان والاشياء التي يعيشها، بدون اي تشويش او تعقيد في اجلاء الصورة وابرازها. واذا بالصورة التي رسمتها كيم للآنسة كيت بريشتها الناعمة تعكس ذلك الوجه الحي للشخصية المعجبة بها الى حد الجنون، فجاءت الصورة مزيجاً من الواقع المنظور والخيال المبهور بالدهشة من تحقيق المعجزة، معجزة تحول تجسيدها من مجرد رمز لم تستطع تصوره الا عبر الخيال، الى واقع ملموس أبعد ما يكون عن الخيال.

الرحلة التي ظنت الآنسة كيت انها لن تستغرق اكثر من ثلاثة ايام امتدت الى سبعة ايام. ولكنها كانت ممتعة وشيقة وحافلة بالتجارب المفيدة، لا سيما التغييرات الملموسة التي طرأت على سنغافورة، اذ تبين لها الفارق الكبير بين ما كانت لسنوات خلت، وما اصبحت عليه الآن. كما لو كانت الحياة هناك في حركة دائمة نحو التقدم والتطور.

اما النتائج التي عدنا بها فقد كانت حصيلتها عشرات الازياء الحديثة، والتعاقد مع بعض عارضات الازياء، وافكار مستحدثة كثيرة سيجري تنفيذها على الطبيعة لأول مرة. بالاضافة الى الآنسة كيت التي وافقت على عرض بعض الازياء التي ابتكرتها الفتاة الصينية كيم نزولاً عند الحاح هذه الاخيرة عليها، ووعدها لها بانها ستتحمل مشقة السفر الى ماهور ان هي وافقت على عرض بعض الازياء التي صممتها.

وهكذا انتهت الرحلة مع كل ما تخللها من مفاجآت وتجارب وفي مقدمتها التعرف على الفتاة الصينية المشلولة والمواهب الفنية الرائعة التي تتمتع بها وعلى الاخص فن تصميم الازياء، والرسم، والتلوين، والتطريز، وما شابه ذلك، ذلك الفن الذي توصلت الى

معرفته وبلورته وابرازه بفضل ذكائها الفطري، دون ان تذهب الى المدرسة او ان تتلمذ على يد احد.

جلست كيت تنتظر اقلاع الطائرة، نصفها يرتعش من مجرد التفكير بانها عائدة الى ماهور بعد ساعات قليلة، ونصفها الثاني يرتعد من مجرد التفكير بالعودة.

٦ - أين تذهبين؟

فور وصولها الى البيت من تلك الرحلة الرائعة، كانت بانتظار كيت برقية من السيد بارت بنسون، رئيس احدى المؤسسات الكبرى في لندن، وهي شركة مشهورة باتصالاتها الواسعة مع ارباب العمل وطلاب الوظيفة في مختلف مجالات العمل، لا سيما عالم الازياء، ورسالة من عمتها رينا في لندن حيث تقيم والدتها منذ سفرها لاجراء عملية جراحية حساسة في عينها اليمنى.

برقية السيد بنسون تضمنت ثلاثة عروض مغرية للغاية، وتترك لها الحرية المطلقة لاختيار العرض الذي يناسبها، وتطلب منها الاجابة برقياً، مع توضيح العرض المختار وتحديد تاريخ عودتها الى لندن.

اما رسالة عمتها رينا فانها تضمنت خبر نجاح عملية والدتها، وسرعة تماثلها للشفاء لدرجة ادهشت الاطباء. وعودتها القريبة الى البيت لا تتعدى الاسبوع، في حال ظلت حالتها الصحية تميل الى التحسن الذي سجلته مباشرة بعد العملية.

وكان من الطبيعي ان تطغى الاخبار السارة عن والدتها على كل ما عداها من اخبار بما فيها خبر تلك العروض المغرية الذي ورد في برقية السيد بنسون، وتشغل كيت عن الاجابة على تلك البرقية، وعدم الالتزام بموعد محدد، ريثما تعود والدتها من لندن، وتتماثل تماماً للشفاء.

ما ان انتهت من قراءة رسالة عمتها حتى كادت تطير من الفرح، وهرولت مسرعة نحو والدها، لتغمره بذراعيها وهي تقول:

- والدتي عائدة، يا ابتي. ستعود بعد اسبوع. يا له من خبر مفرح... والدتي ستعود بعد اسبوع. هل هناك ما هو اروع من هذا الخبر؟

- كلا، يا كيتي، ليس هناك خبر اروع منه.

اجابها بجدية حسبتها كيت لا تعبر عن رغبة صادقة بروْيتها تعود الى البيت بمثل تلك السرعة. وسألته:

- كان يخيل الي انك اكثر مني شوقاً ولهفة لعودتها.

- كيتي، لا تذهبي بعيداً في تفسير الامور! كل ما في الامر انني لا اريد منها استعجال الامور او الاعتماد على الحظ.

- لا مجال هناك لاستعجال الامور او الاعتماد على الحظ، طالما ان الطبيب هو الذي سيقرر ما اذا كانت حالتها تسمح لها بالسفر جواً ام لا.

وتنهدت وهي تشعر بفتور نشوتها المفاجئة بسبب الملامح غير المشجعة التي انعكست على وجه والدها وهو يذكرها بأن عودة الوالدة حالياً مترافقة مع معرض الازياء، كأنه يعيدها الى اجواء الفرح والنعمة من حيث يدري او لا يدري. فعانقته بحرارة واتفقا على اقامة وليمة ترحيباً بعودتها الميمونة الى بيتها وكنف زوجها.

هذا وكما كانت كيت لا تتوقع من والدها تلقي خبر عودة زوجته بفتور، كذلك فانها كانت قلقة عليه وهي تراه يقبل على الشيخوخة قبل الأوان من خلال ملامح تجعدات وجهه البارزة، وضعف جسمه وما حفرته الهموم من اخاديد حول فمه. عضت شفتيها من اللوعة على اصراره لعدم البوح لها بما كان يشغل باله ويكاد يودي بحياته، وهي تضرب كفاً بكف، وتندب حظها لعجزها عن اقناع والدها باهمية اشتراك جميع افراد العائلة في السراء والضراء، وحظ والدها لانه يقود نفسه الى الهلاك والموت في سبيل تمسكه بالوفاء لمبادئه

نحو الآخرين، بغض النظر عن مدى اخلاصهم نحوه. وهنا تكمن الطامة الكبرى.

تأملته والمرارة تحز في نفسها، ولسان حالها يقول: قريباً ويعود الى ذاته... انا واثقة كل الثقة بانه سيعود الى ذاته... اجل، انه سوف يستيقظ يوماً على حقيقة ما هو غارق فيه. ثم عانقته لتودعه قبل ان يخرج في طريقه الى عمله وهي توشوش في اذنه بانها هي الاخرى ستنصرف الى العمل استعدادا لاقامة المعرض في موعده المحدد. هنا ذكرها بضرورة الرد على البرقية التي وصلتها من لندن اولاً، اذ ليس من اللائق ترك المرسل ينتظر على غير طائل.

وتجدر الاشارة الى انها قررت عدم الرد على البرقية ريثما تعود والدها وتطمئن الى حالتها الصحية. لكنها الآن، وتلبية لرغبة والدها، غيرت رأيها فتوجهت الى مركز البريد وبعثت ببرقية جوابية ضمنتها شكرها وامتنانها، دون التقيد بموعد محدد لعودتها الى لندن.

ثم توجهت من هناك رأساً الى الفندق يراودها شعور بالدهشة مقرون بخيبة الأمل، اذ سمعت ان السيد شريدان سافر لقضاء بضعة ايام في احد مراكز الشركة خارج ماهور، بينما كانت تتمنى لو انه بقي هنا لمساعدتها عند الضرورة.

وما ان دخلت الفندق حتى اخبرتها السيدة فانهان عن الترتيبات التي وضعتها لاستقدام الفتاة الصبية الموهوبة كيم، ابنة مصممة الأزياء كي لون، قبل افتتاح المعرض بيومين. ثم كشفت لها عن الاسباب الكامنة وراء هذه الفكرة.

كانت السيدة فانهان ترى انه لا يجوز ان تبقى كيم مشدودة الى كرسيها المتحرك ضمن اربعة جدران الى ما شاء الله. من الواجب ان تتعرف على هذا العالم الواسع وان يتعرف العالم عليها، بدلاً من ان تفني العمر وهي تنتظر الفرج ليأتيها من عالم الغيب، او تظل تأمل في القضاء والقدر. لا، لا يجوز ان تبقى مثل هذه الفتاة سجينة طيلة حياتها، في تلك الزاوية البائسة.

- تصوري نفسك مكانها، يا عزيزتي كيت.

وقالت تعليقاً على معارضة كيت لفكرة استقدام الفتاة الصينية:

- تصوري الفرحة التي كانت ستغمرك وانت تتفرجين على مثل تلك اللوحات الفنية الرائعة والازياء المدهشة التي رسمتها وصممتها بريشتها البارعة وخيالها المبدع. حرام ان تبقى بعيدة عن مرأى ما ابدعته موهبتها الخارقة. يجب، بل من واجبنا نحن ان نعطيها هذه الفرصة للتمتع بمشاهدة انتاجها الفني وبدون منة من احد. فهي صاحبة الحق الوحيد في الاعمال المبدعة التي اتحفتنا بها، وعسى ان يكون حضورها سبيلاً لفرص اخرى من النجاح على مستوى عالمي، بفضل ما ستكتبه عنها الصحافة الاميركية والاوروبية القادمة لحضور حفلة الافتتاح.

تلك لم تكن محاضرة في العلوم الانسانية وانما وقفة مصارحة ونقاش بين امرأتين تنظران الى الفن والمواهب والابداع من زاوية واحدة. ثم ما لبثتا ان عقدتا جلسة عمل قصيرة لوضع اللمسات الاخيرة على الترتيبات الواجب تنفيذها في الايام القليلة القادمة بالنسبة الى المعرض. حتى اذا انتهت الجلسة، ودعتها كيت وغادرت الفندق في طريقها الى البيت، لتجد والت هناك.

ما ان اطلت كيت حتى بادرها والت بالقول ساخراً:

- اهلا بصديقة زوجة رئيسك... ولكن شتان ما بين النوايا، اذ انك في واد وهي في واد غير واديك. رويدك، يا كيت، اذ لا اظن الا انها تحاول استغلالك واستعمالك لتحقيق غاياتها.

- لا تكن سيء الظن يا سيد والت. ثم لا تنسى انني اقوم بما اقوم به من عمل بملء حريتي واختياري.

- كذا. اهنئك على طيبة قلبك وحسن نواياك. ولكن صدقيني بانك لن تجدي من يقدر لك تضحياتك واتعابك... وان غداً لناظره قريب!

- لا بأس. حسبي ان افعل شيئاً في سبيل المصلحة العامة...

ولا يعني التكريم او التقدير من احد.

قالت ذلك واستأذنت منه بحجة ان لديها بعض الاعمال الضرورية الواجب تنفيذها. الا ان والت لحق بها وقطع عليها الطريق. ثم قبض على ذراعها بيده و دها بقوة، فيما رجته ان يرفع يده عنها ويتركها وشأنها، فأجابها بقوله:

- مستعد، ولكن بشرط...

فقاطعته لتقول له بلهجة هادئة:

- هه، عدنا الى وضع الشروط. طيب، هيا، قل ماذا تريد غير الفدية. اذ لا يمكنني تلبيتها هذه المرة لانني مفلسة بالمرة.

- لا، لن اطلب منك فدية وانما اكتفي منك باستعراض تقوم به امامنا الدمية الوافدة الينا قبل ليلة افتتاح المعرض.

- حسناً، سأرى ما يمكنني عمله في الوقت المناسب.

وهنا تدخل والدها في هذه الدردشة ليقول مداعباً بطرافته المعهودة:

- عندها ستضربين الرقم القياسي في التهريج، وتحتاجين لفرقة عسكرية كاملة لرد حشود الشباب الزاحفة على بطونهم.

ضحك الجميع وافلت والت يدها فذهبت في طريقها لعمل ما كانت تنوي عمله.

ذهبت وهي تشعر بالارتياح ويراودها الامل بقرب ساعة الخلاص من مداعباته الثقيلة الظل. فالمعرض اصبح على الابواب، ومشاغلها الكثيرة ستبعدها عنه لفترة طويلة ربما امتدت الى يوم عودتها الى لندن. وعندها، لن ترى وجهه بالمرة. ويبدو ان الحظ كان يدور لمصلحتها، اذ كان يتوقع وصول مفتشي المحاسبة لمراجعة قيود الشركة، وهؤلاء سيشغلون والت عنها من حيث لا يدرون، اذ عليه البقاء معهم في المكتب بطبيعة وظيفته كرئيس للمحاسبة، لفترة طويلة.

هكذا كانت تشعر في الصباح عندما توجهت الى الفندق

للاجتماع بالسيدة فانهان، والمباشرة بالعمل فور انتهاء الاجتماع. وسرت اكثر حينما اخبرتها السيدة فانهان عن موافقة الشركة على اعارتها السيد شريدان للاستفادة من خبرته العملية في ورشة تركيب منصة العرض وغيرها، والمهندس وينتون زوج ايلين لمساعدتها في الاشراف على تمديدات الكهرباء اللازمة لانارة المسرح واماكن جلوس المدعوين والمشاهدين.

وسرعان ما بدأ العمل. كيت والسيد شريدان ناقشا خريطة المسرح، بما فيه المنصة، والخلفية، ومنافذ الصعود والهبوط من والى منصة العرض، ومختلف التعرجات والممرات المتداخلة في عملية تركيب المسرح. واتفقا على كافة التفاصيل والقياسات، طبعاً، بعد اخذ ورد، كان يجد حيناً، ويمزح حيناً آخر. وكل ما في الأمر هو ان كيت اساءت فهم المهمة الموكولة الى السيد شريدان، اذ تصورته جاء لينهي دورها في الترتيبات الجارية الى ان اتضحت لها حقيقة الأمور. بفضل المرونة التي اظهرها شريدان اثناء الاجتماع القصير الذي عقداه في الفندق قبل توجههما معاً الى مكان الورشة. اذ أكد لها بان دوره في فريق عملها يدخل ضمن اطار التعاون والتوجيه ليس الا.

ثم غادرا الفندق وذهبا الى مكان الورشة للاشراف على الأعمال الجارية هناك، والتي كان ثلاثة نجارين محليين يقومون بها. وكم كانت دهشة الآنسة كيت عندما شاهدت حركة العمل تنشط هناك بشكل عجيب بفضل ديناميكية شريدان وحماسته، رغماً عن حرارة الجو اللاهبة. فقد شمر عن ساعديه، وخلع قميصه، وراح يحث النجارين على العمل بحماس منقطع النظير. فيما جلست كيت ارضاً، بعد ان اعياها التعب والحر، تراقبهم بفرح وشغف وهي تمسح العرق عن وجهها بالمنديل. كانت الورشة اشبه بخلية النحل، اذ كان الجميع يعملون بصورة دائمة. هذا ينقل الواح الخشب، ويضعها قرب المنشار، فيأخذ شريدان قياساتها ويحدد لهم طريقة نشرها. ثم يأتي آخر ليبدأ بتركيبها. وهكذا دواليك لغاية ان

اصبحت المنصة جاهزة بكافة اشكالها وتعاريجها واطاراتها وادراجها. ولم يبق عليهم سوى وضع اللمسات الاخيرة عليها لتصبح جاهزة لاجراء البروفه، ومن ثم العرض المنتظر.

في زحمة تلك الحركة، شاء شريدان ان يحرك كيت من مكانها، فنادى عليها مداعباً:

- قومي يا كيت، انهضي من مكانك، تحركي واذهبي الى المطعم المجاور واجلبي لنا منه بعض المرطبات.

فنهضت وذهبت الى المطعم وهي تبتسم لهم لتعود بعد دقائق معدودة حاملة بين يديها اربع زجاجات من المرطبات قدمت واحدة منها لكل واحد منهم. وهنا قال لها شريدان مازحاً:

- شكراً يا كيت والآن اذهبي وعودي الساعة الرابعة اذ ان الوقت هو للعمل وليس للتسكع ومراقبة حرارة الطقس... كفاك كسلا!

وضحكت له كيت وهي تتأمله بدهشة واعجاب من اكتشاف ميزة جديدة لم يسبق لها ان اكتشفتها فيه خلال التجارب الماضية التي عاشتها معه. انه يستميلها اليه بقوة شخصيته، وشجاعته، وجاذبيته. اما اليوم، فقد ادهشها بوضعه العمل في قمة اهتماماته، وبمدى جديته وتقديره للعمل في حينه. فغفرت له سفاهة اللسان التي خاطبها بها قبل لحظات.

وبالفعل ودعتهم وتوجهت الى البيت وهي تشعر بالتعب والأرهاق بسبب الحر الفظيع. فكيف بالحري لو انها كانت تشتغل؟ وهناك استحمت واستراحت فاستعادت حيويتها. وقبل الموعد بقليل ارتدت ثيابها، وسوت شعرها، ثم خرجت من البيت عائدة الى ورشة العمل سيراً على الاقدام نظراً لقصر المسافة بين البيت والورشة. حتى اذا وصلت الى اطراف مكان العمل، راحت تتظاهر بمراقبة سير العمل وهي تتلفت ذات اليمين وذات اليسار كأنها تحاول اثبات وجودها بعد ان اصبحت منصة العرض شبه جاهزة، فيما

كانت انظار عابري الطريق تراقبها.

وكم كانت دهشتها عندما شاهدت شريدان جالساً على طرف معبر خشبي ضيق متصل بالمنصة الرئيسية وهو يتأملها حتى وصلت، فبادرها قائلاً:

- يظهر انك عرفت!

- ماذا عرفت؟ لست افهم!

- ولكن الشيء واضح! الا ترين؟

نهض وخطا بضع خطوات الى الأمام، ثم اضاف:

- اني انتظرك لاجراء عملية التسلم والتسليم، يا عزيزتي كيت. . . ونبقى عليك اشغال الزينة فأنت دوماً لها.

- طبعاً، طبعاً. . . انا . . . اقف عاجزة عن تشكيلها!

- معاذ الله ان يكون هذا هو قصدي . . . انت زينة الدنيا، وربما تبدين الآن أكثر اشراقاً منك في اي وقت مضى!

ثم رفعها بيده الى المعبر الخشبي وهو يقول:

- انه ناقص بعض الشيء، ولكن هذا لا يمنع . . . جربيه.

وجربته بان مشت عليه من هذا الطرف الى الطرف الآخر، وهي تحافظ على توازنها في كل خطوة تخطوها، برشاقة ولباقة ادهشت الجميع، وخاصة السيد شريدان. ثم انتقلت منه الى منصة الخطابة، حيث وقفت شامخة الرأس، لتعلن:

- سيداتي سادتي، يسرني ان اعبر عن خالص الشكر والامتنان لكم جميعاً، وعلى الأخص السيد شريدان، على جهودكم الجبارة التي بفضلها اصبح عندنا منصة رائعة كهذه. . . .

وقفزت ارضاً الى جوار السيد شريدان، الذي عانقها وهو يتمنى لها النجاح، ويعدها بتسليمها المنصة كاملة وجاهزة للعرض خلال بضعة ايام.

وبعد يومين طار والدها الى سنغافورة لاستقبال والدتها ومرافقتها من هناك الى ماهور، فيما كانت هي تجري الاستعدادات اللازمة

لوضع اللمسات الاخيرة تمهيداً لاجراء البروفة قبل افتتاح المعرض بيوم واحد.

في هذه الاثناء وصلت مصممة الأزياء الصينية السيدة كي لون برفقة ابنتها الموهوبة المصابة بالشلل. كما وصلت عارضات الأزياء وباشرن على الفور بترتيب الملابس والأزياء التي سيظهرن بها اثناء العرض، بينما كانت السيدة فانهان ترد على المكالمات التي تأتيها من رجال الصحافة وغيرهم من المعنيين بشؤون المعرض.

وبلغت دهشة كيت من الأزياء التي صممت خصيصاً لها حداً يفوق التصور. اذ كان بين المجموعة ازياء تعرض للمرة الأولى، ليس في ماهور وحسب بل ايضاً في العالم. والجدير بالذكر ان الفتاة الصينية الموهوبة هي التي صممت الفساتين الأربعة التي ستظهر بها كيت اثناء حفلات العرض، بوحي خيالها الواسع، وريشتها البارعة. وقد نالت كلها اعجاب كيت، لا سيما تلك الفستان الفضفاض المصنوع من الحرير الفاخر وحشوات رائعة، بشال طويل من الحرير القرمزي الموشح بالفضي ومصمم بحيث يتموج اثناء تحركها ليعكس مزيجاً من الألوان المتداخلة ببعضها لا ابدع ولا اروع.

وما ان انتهت اشغال تركيب المنصة وتزيينها، والانارة الكهربائية، ووصلت جميع عارضات الأزياء اللواتي دعين للاشتراك في المعرض، من لندن، والملايو، وسنغافورة، بالاضافة الى مصممة الأزياء الصينية وابنتها الموهوبة، حتى باشرت السيدة فانهان بوضع الترتيبات اللازمة لاجراء حفلة البروفة بالتعاون مع الآنسة كيت، في الليلة التي تسبق ليلة افتتاح المعرض بصورة رسمية.

هذا ويمكن القول بان التجربة كانت ناجحة للدرجة ادهشت الصحفيين وكبار المدعوين، باستثناء بعض الهفوات البسيطة التي سويت في حينه.

تلك الليلة تأخرت الآنسة كيت في العودة الى البيت وهي منهوكة القوى بسبب اشتراكها في العرض اكثر من مرة، ومعاونة السيدة فانهان في الاشراف على التجربة حتى النهاية، فضلاً عن شعورها بالوحشة والوحدة بسبب غياب والدها عن البيت. وفكرت بان النوم هو افضل دواء لمعالجة ما هي فيه من ارهاق ووحشة.

وما ان استلقت على سريرها لتنام حتى رن التلفون، فرفعت السماعة وقالت:

- الو، انا كيت... من يتكلم؟

- آسف لازعاجك في هذا الوقت المتأخر من الليل، لكني مضطر...

- لم تقل لي من انت...

- والت، انا والت، يا كيت، متأسف جداً ولكن للضرورة احكام.

- أف منك يا والت! قل ماذا تريد مني في هذه الساعة المتأخرة قبل ان اغرق في النوم.

- اخبريني، يا كيت، هل رأيت حقيبتي السوداء؟

- كلا. لست افهم اية حقيبة تعني؟

- حقيبتي الشخصية، وضعتها خلف الكرسي امس ونسيتها هناك. اذهبي وتطلعي ثم اخبريني.

وضعت السماعة جانباً وذهبت تبحث عن الحقيبة، ثم عادت لتقول له:

- نعم وجدتها، انها ما زالت في مكانها كما وضعتها.

- اسمعي، يا كيت، انني بحاجة ماسة اليها الليلة.

- يعني!

- يعني اريدك ان تحمليها وتأتي بها الي هذه الليلة!

- الا يمكنك الانتظار حتى الصباح؟

- كلا، لا يمكن، مستحيل، يجب ان تصلي الليلة!

- وكيف العمل!

- عليك ان تدبري امرها بطريقة او بأخرى، والا ستندمين...

- حسناً، سأحاول.

وصمتت لحظة تفكر بتهديداته الـ... بعد ان سمعته يرفع لهجته كأنه يريد ان يفهمها بانه لا يزال على موقفه منها ومن والدها المسكين. ثم اضافت:

- والت، سأنقلها اليك. اين انت الآن؟

- انا في بيروبكان. لا تتأخري، هه! انا بانتظارك.

- طيب، حاضر، سأبذل جهدي.

- الى اللقاء اذن.

- بانتظارك.

وضعت السماعة في مكانها ثم بدأت تستعد لهذه الرحلة الشاقة والطويلة، وهي تصلي عساها تكون بمثابة حبل الانقاذ لها ولوالدها من طوق التهديد المضروب حول عنقيهما. فان لكل شيء نهاية.

غيرت ثيابها، ثم اطفأت الاضواء وخرجت واقفلت الباب وتوجهت نحو السيارة حاملة بيدها حقيبة والت، وخارطة المنطقة المتوجهة اليها، ومصباحاً كهربائياً لاستعماله عند الحاجة.

قبل ان تركب في السيارة دارت حولها للتأكد من سلامتها وخاصة الدواليب، لكنها نسيت ان تفحص خزان البنزين، فكان عليها ان تدفع ثمن هذا النسيان من العرق والجهد والوقت. اذ امضت اكثر من نصف ساعة وهي تحاول عبثاً معرفة سبب عدم دوران المحرك، الى ان اكتشفت نفاد البنزين من خزان السيارة، بعد ان استيقظ بعض الجيران على الحركة الجارية في الخارج، بمن فيهم السيد شريدان، الذي هبط من بيته وراح يراقب حركاتها وسكناتها في مثل هذه الساعة المتأخرة من خلف شجرة بجوار المكان.

من السابق لأوانه القول ما اذا كان السيد شريدان على علم سابق بالمهمة التي كانت كيت تستعد للقيام بها الليلة او المكان المتوجهة

اليه. ولكنه يمكن القول بانه كان يعرف الشخص الذي كان يحاول تشغيل السيارة والانطلاق بها، فاختبأ خلف شجرة بجوارها وهو يختلس النظر اليها ويراقبها بمنتهى الحذر. حتى اذا رآها تذهب الى محطة البنزين المجاورة وتعود منها لتفرغ كمية البنزين التي اشترتها منها في خزان السيارة، ركض مسرعاً نحوها ليقف بينها وبين باب السيارة ليمنعها من الصعود اليها وهو يقول لها:

- هل انت ذاهبة الى مكان ما، يا كيت؟

٧- حقيبة الأسرار

- و . . . . . ي!

صرخة ملتوية طويلة أطلقتها الآنسة كيت بوجه السيد شريدان عندما ظهر أمامها فجأة فيما كانت تهم بفتح باب سيارتها والركوب فيها، وهو يحدق فيها ويقول:

- يبدو لي انك كنت تواجهين بعض المصاعب. اي خدمة؟
- ماذا تفعل هنا؟ أوليس عندك ما تفعله سوى تخويف الناس!
- آسف جداً اذا كنت ازعجتك . . . ولكنني استيقظت مع من استيقظوا من النوم بسبب الضجة التي كنت تحدثينها. ما المشكلة!
- ليس هناك من مشكلة. كل ما في الأمر انني عبأت خزان السيارة بالبنزين. والآن، أرجوك ان تتركني وشأني.
- أتصور أنك على موعد مهم.

وأضاف وهو صامد في مكانه كأنه لا يريد ان يتخلى عنها:

- وفي ساعة متأخرة جداً من الليل.
- كلا، لست على موعد مع أحد وانما أنا ذاهبة الى الفندق لجلب شيء نسيته هناك والعودة الليلة.
- لا شك اذن انها ستكون رحلة شيقة، وأرى من الواجب ان أقوم أنا بقيادة السيارة عنك عليّ بذلك أعفيك من مشقة القيادة وأنت قلقة.
- أنا لست قلقة وأرى من واجبي أيضاً ألا احرمك نعمة النوم

الهادىء في مثل هذه الساعة.

- لا، أبداً، لست نعساناً.

فتح باب السيارة وركب في مقعد القيادة فيما تولاها الرعب وهي تراقبه.

ثم بدأ يحاول تشغيل المحرك بعد ان وضع مفتاح الحركة في مكانه. وكم كانت دهشتها عندما دار المحرك فور ان أدار المفتاح ودعس بقدمه على دوّاسة البنزين. فندبت حظها ولسان حالها يقول: يا لسوء حظي، اذ لو اشتغل المحرك معي لكنت الآن في منتصف طريقي الى الفندق. وقالت له وهي لا تزال تراقبه:

- شكراً لك يا براد. لكنني أفضل ان أتولى قيادة السيارة بنفسي.

- لا مانع عندي، ولا مرة منعت سيدة من قيادة سيارتها بنفسها الا اذا هي طلبت مني ذلك.

وانتقل الى المقعد المجاور ليخلي المقعد لها، وهو يتمتم ويتحسس بيديه شيئاً في الظلام بطريقة أثارت انتباه كيت لتراه ينقل حقيبة والت، التي كانت ألقتها على المقعد الأمامي، ليضعها بين رجليه، مما أثار الفزع في نفسها من أن يكون عرف هوية صاحبها.

الا انها رغماً عن الحيرة التي وقعت فيها، كانت مصممة على الوفاء بهذا الموعد المكروه بدون مرافقة شريدان. كان الأمر يهون لو لم يدخل في الصورة الآن ويصرّ على مرافقتها بحجة مؤانستها في الطريق الموحشة المقفرة اثناء الليل وتخفيف مشقة السفر عنها. وهي تعرف ما يدور في الخفاء بين شريدان ووالت، والشكوك التي تخامر شريدان حول العلاقات الوطيدة القائمة بين والت ووالدها. من هنا بدأت تفكر بمخرج ينقذها من هذه الورطة التي تواجهها، والا فان الواقعة ستقع ويحدث ما ليس في الحسبان. الحل الآني الوحيد للتخلص من ورطتها هو ان تشدّه بيدها وتلقي به خارج السيارة، لكن مثل هذا العمل يفوق قدرتها بكثير. فما العمل اذن؟ ما العمل طالما انه يستحيل عليها التوجه لملاقاة والت وتسليمه الحقيبة برفقة

شريدان، لأكثر من سبب وسبب، أهونها شرّ كاصبعها، عما يقفل بوجهها باب الاختيار، اذ لا مجال للاختيار عندما يتعلق الأمر بهذين الرجلين.

وقد تفاقم شعورها بالخطر الى حد الهستيريا وهي واقفة تفكر وتتأمل ملامحه ونظراته التي عكست لها بوضوح مدى السخرية واللامبالاة التي يقابل بها تأملاتها وترددها. وتتساءل بهلع: ترى، هل عرف وجهتي وصاحب الحقيبة حتى بات يتصرف على هذا النحو من الخبث والسخرية! فليتصرف كيفما يحلو له. وليظن بأنني سائحة رغبية. وعندما نصل الى الفندق سيرى ما يعجبه ويدهشه.

ومن ثم انطلقت بالسيارة عبر شارع ماهور الرئيسي، شاعرة بالعداء لكونها تقوم بهذه الرحلة برفقة رجل قد ينسيها الوحشة بعد ان تتجاوز المنطقة الآهلة بالسكان وتدخل بين الأحراش والأدغال الحافلة بالمخاطر وشتّى المفاجآت غير المستحبة، ناهيك عن المسالك والشعبات الوعرة.

قل ذلك والسيد شريدان لا يحرك ساكناً. كان يتطلع الى الأمام ويراقب المناطق التي تمر بها السيارة. وظل يتصرف على هذا النحو الى ان اقتربت السيارة من منعطف توقفت عنده حركة السير بسبب توقف سيارتين في الطريق كان سائقاها يتجادلان حول أفضلية المرور. فضغط على بوق السيارة وأطلق له العنان مما حرّك عجلة السير فعاد الى حالته الطبيعية، وتابعت كيت مسيرتها. ذلك كان كل ما فعله حتى الآن.

كان الصمت يقلقها ويحيّرها بعد التطورات المفاجئة التي طرأت على خطة الرحلة. وخاصة بعد اصرار شريدان على مرافقتها في رحلة تجب ان يكون هذا الرفيق آخر من يعلم بها نظراً لما كان يدور في الخفاء من مناورات خبيثة بين شريدان ووالت، الأول يسعى جاهداً للايقاع بالثاني، والثاني يتفنن في الافلات من حبائله، وليس هناك من يدري كيف ستكون النهاية.

وفكرت بأن تبادر بالحديث معه علّها تستطيع، من خلال حديثه، التكهن بما كان يجول في خاطره من نوايا وأفكاره اذ باتت تشعر بأنها اصبحت في وضع حرج للغاية ويستلزم الحذر الشديد لمواجهته، ومواجهة كافة الاحتمالات التي تبقى واردة ما دام "مرافقها كظلها.

التفتت اليه وهي تخاطبه بنعومة:

- الأعمال التي قمت بها هذا الاسبوع مفيدة جداً، وخاصة ما يتعلق منها بالمنصة. ما كنت أعلم بأنك تملك كل هذه البراعة والمهارة في مجالات لا تمت بصلة الى عالم المطاط. صدّقني يا براد ان هذه الأعمال مدهشة ومشكورة. لم يخطر ببالي قط أنك قادر على تنفيذها بمثل تلك البراعة فيما أنت غارق الى أذنيك في مشاكل الشركة وايجاد الحلول المناسبة لها.

- كيت، ليس بالمطاط وحده يحيا الانسان، فالحياة حافلة بما هو أهم بكثير من شؤون المطاط ويبقى علينا ان نحسن التمتع به.

- أكيد، أكيد، معك حق، يا برادا ولكن الوقت قصير كما ترى...

في هذه الاثناء وصلت السيارة الى ضواحي ماهور، دون ان تنعطف بها نحو الفندق المألوف، ودون ان يسألها شريدان عن سبب تجاوزها للمنعطف المذكور، فردّ عليها وهو يتظاهر بالجهل:

- صحيح ان الحياة حلوة وقابلة لأن تصبح أحلى وأبهى اذا كان هناك من يعرف قيمتها وكيف يجمّلها...

كان يراقبها بحذر فيما زادت السرعة، وأضاف عذراً:

- كيت، في العجلة الندامة وفي التأني السلامة!

- خائف؟

- كلا، لست خائفاً، وسابرهن لك ذلك في الوقت المناسب.

- انا لم أدعك لمرافقتي في هذه الرحلة... لذا فلا يحق لك ان تعترض على السرعة.

- ارجوك، يا كيت! يبدو لي ان ذاكرتك ضعيفة. المهم هو ان

تتابع الرحلة بسلام.

قال ذلك وصمت لكن صمت أقلقها وتمنت لو انه يظل يحدثها، يعترض او يوافق، يهاجم او يدافع، لا فرق. المهم ان يتابع حواره معها، بغض النظر عن المنحى او الاسلوب. فليتكلم حسبما يريد ويشاء اذ ليس ما يظهر النوايا ويفضحها مثل اللسان الذي اوشك قبل لحظات ان يبق البحصة ويفشي ما يجول بخاطره حول وجهة سيرها.

وصارت تتساءل بقلق: ترى، كم يعرف! وأنّى له ان يعرف؟ من يدري؟ ولماذا أصر على مرافقتي؟ هل أصر على السفر معي لأنه كان يعرف ان والت هرب؟ ربما! كل شيء جائز. الحق عليّ لأنني لو لم ابتعد عن الاختلاط بالناس في المدة الأخيرة لكنت عرفت كل شيء.

في هذا الوقت وصلت السيارة الى أطراف سهول المطاط المحاذية للشاطئ، بحيث أصبح عليها ان تلتزم جانب الحذر وهي تقود السيارة تجنباً لأي اصطدام سهل الحصول في مثل هذه المنطقة الوعرة حيث تكثر الصخور والحفر والمستنقعات ومجاري المياه. خاصة بعد ان اصبحت الطرق متشعبة وصعبة المسالك، وربما تصبح اكثر وعورة وصعوبة بعد ان تصل الى الجسر القريب من دلتا تكيانغ.

ولا سبيل للانكار انه لولا شعورها بكل تلك المخاطر المحيطة بها من كل جانب لما راحت تقود السيارة بمنتهى الحذر والانتباه، ولما كانت اوحت لها مشاهدها بأنها جاءت سابقاً الى هذه المنطقة برفقة والت. فتذكرت الاتهامات التي وجهها اليها والتهديدات المبطنة التي ما زالت تثير فيها الرعب كلما خطرت ببالها. وها هي تقصد هذه المنطقة بالذات، وهي اكثر تصميماً، واصلب عزيمة من اي وقت مضى للايفاء بالوعد الذي ضربته للسيد والت، سواء برفقة شريدان او بدونه، لا فرق، بدافع يقينها ان الفرصة سانحة الآن للتخلص من تهديدات والت ورد سيفه المسلط فوق رأس والدها الى غمده.

وفي غمرة كل تلك التأملات والتصورات نسيت كيت رفيق السر الكتوم، ونسيت معه كل ما جرى بينها وبينه قبل المسيرة وبعدها، وتاهت بالتالي عن الانعطاف نحو الطريق المؤدية الى المكان الذي سنلتقي فيه السيد والت. تاهت عن تلك الطريق لأنه لم يتسنَّ لها الوقت الكافي لدراسة خريطة المنطقة بعناية بعدما أربكها شريدان بظهوره المفاجىء أمامها. فكان عليها ان تدفع الثمن غالياً من راحتها وسلامتها. والدليل على ذلك انها سلكت الآن طريقاً تجهل معالمها بالمرة دون ان تجرؤ على التوقف لحظة واحدة لمراجعة الخريطة. وما لبثت ان صارت تسير على غير هدى دون ان تجرؤ على مجرد سؤال رفيق السفر او استشارته، يقيناً منها بأن الطريق ستوصلها حتماً الى المكان الذي حدده والت، ما دامت تسير على هذه الطريق المحاذية للشاطىء.

وتابعت سيرها وهي تأمل بالوصول الى مكان تعرفه فتصحح خط سيرها وتصبح الطريق سالكة وآمنة. كل ذلك والصمت يخيّم عليهما، الى ان قطعه السيد شريدان بقوله:

- أظنك نسيت ان تنعطفي الى الطريق المؤدية الى ماس نيلوك.

وصمتت يتأملها في كانت على تحدق فيه وقد استبدّت بها الحيرة، ثم انفعلت:

- انها تقع على مسافة ثلاثة أميال من هنا.

- ومن قال لك انني متوجهة الى هناك؟

- هل انت متأكدة بأنك لست ذاهبة الى هناك؟

- ولماذا يجب ان أذهب هناك؟

- خيّل اليّ انك على موعد مهم هناك!

- كلا، لقد اخطأت الهدف يا براد.

وهكذا عاد الصمت سيد الموقف. سكت السيد شريدان وهو يضحك في سرّه دون ان يلهيه ذلك عن مراقبة وجهة سيرها. وسكتت الآنسة كيت غصباً عن ارادتها وهي تشعر بالقلق والحيرة من

عدم معرفتها كيف واين ستنتهي هذه الرحلة، خاصة بعد ان أصبحت الطريق تضيق وتتخذ أشكالا غريبة لم ترها من قبل أبداً. فباتت تتوجس خيفة من الوقوع في حفرة من حفر الماء والوحل، او في مستنقع من المستنقعات الكثيرة هناك. وقد تفاقم قلقها عندما بدأت تشعر بحركة الدواليب تتعثر وتتباطأ، وتدور أحياناً في الهواء، بسبب انزلاقها فوق أرض موحلة ولزجة، بالاضافة الى ما بدأ يظهر امامها من طلائع النباتات والطحالب المستنقعية، وارتطام بعض قضبانها وأوراقها وأغصانها بزجاج السيارة وأطرافها. وما لبثت السيارة ان مالت قليلاً وصارت تتحرك بصعوبة الى الأمام، مما أهاب بالآنسة كيت لتدعس على الفرامل لايقافها قبل ان يحدث ما ليس في الحسبان، وهي واجمة من هول ما كانت تتعرض له السيارة وينذر بأوخم العواقب. غير ان الواقعة وقعت رغم التحذير الذي أطلقه شريدان بعد فوات الأوان. ولم يجد شريدان وسيلة للخلاص الا بفتح باب السيارة والترجل منها، والابتعاد عنها قبل ان تبتلعهما مياه المستنقع الذي ارتطمت السيارة بطرفه وتعطلت.

وهكذا أسرع شريدان في الترجل من السيارة ثم ساعد كيت في الخروج منها وهي تصرخ مذعورة:

- الحقيبة، الحقيبة! ضاعت الحقيبة... والقناديل، اين القناديل... أريد الحقيبة.

واندفعت مسرعة نحو السيارة القابعة في الوحل فردّها شريدان وتولى عنها جلب الأغراض من السيارة، وعاد ليساعدها في مشيتها بعيداً عن منطقة الخطر.

وقفت الآنسة كيت هناك شاحبة اللون، تتأمل السيارة وهي تولول وتقول له بحزن وتحسّر:

- انظر يا براد، انظر كيف ان السيارة آخذة في الغور... أليس بوسعنا ان نفعل شيئاً لاخراجها من هناك؟ يجب ان نفعل شيئاً لانقاذها... انظر يا براد، انها تغور اكثر وأكثر مع مرور الوقت، يا

حسرتي عليها، لقد انتهت! ماذا تقول، يا براد، يجب ان تفعل شيئاً لاخراجها من هناك قبل فوات الأوان. . .

- ماذا يمكنني ان أفعل؟ فلا دفاع مدني، ولا اطفائية، ولا «طوارئ»، ولا من يحزنون! ما رأيك؟ اقترحي شيئاً وأنا أنفذه.

- انني اسألك. . . مجرد سؤال. . . ممنوع؟

- كلا، غير ممنوع، لكن السؤال لا يفيد في مثل هذه الحالة.

أمسك بذراعها ليقودها بعيداً عن هذه الأرض التي تكاد تميد تحت اقدامها، الى بقعة جافة يشعران فوقها بشيء من الأمان، وان لم يكن كل الأمان. الى أرض اكثر صلابة وتماسكاً، حيث يمكنها التحرك فوقها باطمئنان اكثر.

ترقصت وبدأت تزيل بقع الوحل والطين عن رجليها وحذائها، وتندب حظها على هذه الورطة التي تورطت فيها. ووجدت نفسها أمام حائط مسدود وهي مسلوبة الارادة فاقدة الأمل. حتى ولو صدق القدر مبادرة لتمر من هناك، ليس ما يطمئنها بأن وجهتها ستكون في الاتجاه نفسه. وهنا صارت تحدث نفسها: ترى، كيف عرف شريدان؟ كان من الواجب ان أصغي لنصيحته وانعطف بالسيارة الى تلك الطريق الفرعية او ان أعكس وجهة السير، على أقل تقدير. كان شريدان على حق حينما لفت انتباهي الى الغلطة الفادحة التي ارتكبتها بعدم الانعطاف بالسيارة نحو الطريق الوحيدة المؤدية الى مكان والت. فلو لم أتجاهل نصيحته، ولو لم أحاول تضليله، لما كنت أوقعت نفسي في هذه الورطة او عرّضت نفسي للمخاطر في هذه المنطقة النائية عن المدينة.

بالاضافة الى الاخطار التي أحاقت بها حتى الآن، كانت هناك أخطار جديدة متوقعة، لا يمكن التكهن بنتائجها نظراً لوعورة المنطقة وعدم وضوح الرؤيا اثناء الليل. وفكرت والمرارة تهزها من أعماق ذاتها بالمصير الذي كان ينتظرها لو لم يكن شريدان بجانبها ليشجعها ويشدّ ازرها ويوجه خطواتها ويحميها من المخاطر. وكم كانت بحاجة

الى الصبر والشجاعة ومرونة الاعصاب والتعقل، كي تتمكن من التغلب عليها والخروج بسلام من هذا الأسر القسري الذي تضربه حولها عوامل الطبيعة القاسية التي لا ترحم.

ولكن ماذا يفيد الندم بعد فوات الأوان وبدون أمل في ايجاد مخرج للابتعاد عن هذه المنطقة قبل ان ينبلج الفجر وتتحسن الرؤيا؟ اما الموعد المضروب لموافاة والت وتسليمه حقيبته، وما سيكون رد فعله على التأخير الحاصل غصباً عن ارادة الجميع، فيجب عليها ان تتجاهله الآن وان لا تدع تفكيرها ينشغل بتهديداته المبطنة ساعة اتصل بها وطلب منها نقل الحقيبة اليه بأية طريقة من الطرق. عليها ان تركز تفكيرها على الظروف التي تعيشها الآن، وايجاد مخرج من هذا المأزق مع حلول تنفس الصباح. ليس امامها سوى الترقب والانتظار وعدم الاستسلام لليأس.

تابعا المشي فوق أرض لا تختلف طبيعتها عن طبيعة الأرض التي تكثر فيها الأطلال، نظراً لوعورتها وخشونتها. أرض تغطيها الحجارة وشتى انواع النباتات، وتكثر فيها الحفر والمطبات مما يجعل حتى مجرد المشي عليها محفوفاً بالخطر بسبب فقدان التوازن اثناء المشي. وهكذا كانت كيت تمشي بخطى متثاقلة وهي تشعر بنفسها معرضة لزلّة قدم في أية لحظة، او الوقوع ارضاً بمجرد ارتطام قدميها بصخرة مطروحة هنا وهناك، لو لم يكن شريدان يكشف لها معالم الطريق بواسطة المصباح اليدوي الذي حمله معها، ويقوّم خطواتها كلما تعثرت. ومع ذلك لم تنج من خطر التعرض لحادثة بسيطة اثناء المشي، اذ تعثرت قدمها بحجر وكادت ان تهوي الى الأرض لو لم يهرع شريدان لدعمها والحيلولة دون تعرّضها لخطر اكيد. وسألها برقة وحنان:

- انتبهي يا كيت! هل اصابك سوء؟

- لا والحمدلله. شكراً لك يا براد.

- هل انت متأكدة؟ أريني رجلك.

وسلّط عليها المصباح وهو يتحسس بيده مكان الصدمة، وأضاف:

- يبدو لي ان كاحلك اصيب برضّة خفيفة.

- معقول جداً لأنني بدأت اشعر بوجع بسيط.

وعضّت شفتيها من اللوعة والحسرة وهي تضغط على نفسها للتحرك الى الأمام بمساعدة السيد شريدان وتقول له:

- لا بأس يا براد، دقائق ويزول الألم.

- يجب ان تنتبهي يا كيت لئلا تتعثري مرة أخرى وتكون النتيجة اسوأ بكثير. . . ظلّي متمسكة بذراعي. وهاتي هذه الأشياء لأحملها عنك.

ومد يده ليأخذ من بين يديها حقيبتها وحقيبة والت. لكنها ردّت له بالنفي، بعد ان [illegible] الى مكانها خشية ان ينتزعها منها وهو يقول:

- ما زلت اياك يا كيت. . . عنيدة. لم تتغيري ولن تتغيري. لا بأس، كل مناي ان تكوني عند حسن ظنه بك.

- ماذا قلت؟ لم أفهم!

ففرت فاها وفتحت عينيها الى أوسع مداهما كمن يصاب بصدمة!

- بل سمعت وفهمت، ولكن لا حياة لمن أنادي. يؤسفني القول يا كيت ان لا فائدة ترجى بعد فوات الأوان!

- ماذا تعني يا براد؟ صدقني، لم أفهم.

- بل تفهمين وتعرفين حق المعرفة. هيا بنا الآن، لا بأس، هيا وتحركي الى الأمام.

ومشت طائعة مختارة، دون تردد، تفكر بقصده ليعاودها الشعور بأنه بات يعرف وجهتها الآن، ان لم يكن عرفها للوهلة الأولى، والا فماذا كان يقصد عندما نبهها الى الطريق المؤدية الى ماس تيلوك؟ وكأنه أراد ان يذكرها بأن لا فائدة من الاختباء وراء اصبعها ما دامت

وجهتها اصبحت معروفة، ان لم تكن مكشوفة.

الا ان تفكيرها بواقعها الذي تمر به الآن طغى على كل ما عداه. حتى انه أنساها اصابة كاحلها والوجع الذي سببه لها، وهو واقع مرير يفرض وجوده من خلال مسلسل من صور الرعب المتداخلة بعضها البعض، من ظلام دامس يخيم على المنطقة بحيث لا يستطيع الانسان ان يرى شيئاً أبعد من أنفه، وحشرات هائمة على وجهها تحط وتلسع ولا ترى، ورطوبة ترهق النفس بدون حساب، وحرارة تلسع الجلد، ووحشة رهيبة تزداد وحشة ورهبة مع تزايد طنين الحشرات والبعوض والبرغش وتناقص مظاهر المدنية والحضارة.

واذا بهذه الرحلة تنقلب الى صراع في سبيل البقاء، صراع سلاحه مختلف، سلاح من نوع آخر، سلاح معداته وأدواته الأساسية الصبر، والجرأة والجلد، والايمان، والثقة بالنفس. ومع ذلك لم يغرب عن بالها التفكير بحقيبة والت والسيارة ومستقبل والدها المرهون بموقف والت.

وزاد الطين بلّة ان السماء بدأت تمطر. اذ ان المطر في المناطق الاستوائية يهطل ويتوقف بصورة مفاجئة، يأتي عاصفاً وجارفاً، سرعان ما يتوقف بعد ان يصب جام غضبه على الأرض فيطهرها من ذنوبها وعيوبها. وهكذا كتب على الآنسة كيت ان تعاني من المطر أضعاف ما عانته من متاعب الرحلة حتى الآن. اذ تبللت بالماء من قمة رأسها الى اخمص قدميها وكادت تتعرض لأوخم العواقب لو لم يكن شريدان برفقتها، يساندها ويشجعها ويقيها من المطر بسترته، تماماً كما كان يفعل والدها عندما كانت تخرج معه وهي صغيرة.

حيال هذا الواقع المرير لم يكن بوسع السيد شريدان ان يفعل سوى ان يشجعها على الصمود ووقايتها بسترته على امل ان يهتديا الى زاوية آمنة يقضيان فيها ما تبقى من الليل.

وكم كانت دهشتها عندما اكتشفا انهما وصلا الى مشارف مكان سرعان ما تكشفت لها معالمه بعد ان اصبحا على قاب قوسين منه.

هنا انتعشت آمال كيت اذ انطلقت تجري برشاقة استجابة لتوجيهات شريدان الذي قال:

- هيا بنا نذهب الى هناك يا كيت، حيث الراحة والفرح.

شعر لدهشته بذراع كيت تستند اليه بصورة لا شعورية كأنها شاءت ان ترد على مبادرته باشاعة الدفء والحرارة في نفسها، بمبادرة أحلى واكثر دفئاً.

وما ان صعدت الى باحة ذلك الهيكل القديم المهجور الواقع في هذه البقعة الخالية من كل اثر للمدنية والحضارة، بمساندة شريدان حتى شعرت بالارتياح والطمأنينة، بعد ان اصبحت بعيدة عن دائرة المستنقعات وفي مأمن من الوقوع فيها، ومن المطر المفاجيء ولسع الحشرات والبرغش، ومن وخز الأشواك.

الا ان شيئاً واحداً ظل يشغل بالها الا وهو تهديدات التي لوح بها والت في حال تخلفها عن ايصال حقيبته اليه في الموعد المحدد، وهذه الليلة بالذات. وقد طغى قلقها هذا على كافة الانشغالات الأخرى التي طالما حيّرتها واربكتها، بدءاً بقلقها على سيارتها المهددة بالغوص في وحول المستنقع وانتهاء بقلقها من ان يتركها شريدان وحدها في هذه المنطقة ويذهب دون رجعة.

بعد قليل اقترب شريدان منها وراح يلاطفها ويتحسس بيده كاحلها المرضوض ويقول:

- كيف تشعرين الآن، احسن، أليس كذلك؟

ثم نصحها بأن تخلع حذاءها وتمدد ساقيها.

- نعم، احسن بكثير. شكراً لك يا براد.

وابتسمت له ملء شدقيها، ثم أضافت بلهجة تدلّ على شعورها بالضجر:

- الى متى تظن سنبقى في هذا المكان؟ انني لا أطيق البقاء هنا طويلا يا براد.

- وهل من خيار آخر، يا كيت؟ مهما يكن، سنبقى هنا حتى بزوغ

الفجر.

- هذا مستحيل يا براد، مستحيل، اذ عليّ ان . . .

فقاطعها قائلا:

- اعرف ذلك، يا كيت، ولكن ليس باليد حيلة.

- هناك واجبات عليّ ان اقوم بها.

- ومنها تسليم والت حقيبته، أليس كذلك؟

وصمت يتأملها وهي واجمة، تشهق وتتنهد بعمق، ثم أضاف:

- صارحيني الحقيقة يا كيت، اذ لم يعد امامك مجال لاخفاء الحقيقة بعد ان فات الأوان وهرب والت الى غير رجعة.

- انا لست في وارد التظاهر بالجهل او التهرب من الواقع.

صمتت تتأمله قليلا ثم تابعت تقول:

- ومن قال لك بأن هذه الحقيبة حقيبة والت؟ هل يمكنك اثبات ذلك؟

- هيا يا كيت، وكفاك ضحكاً على الذقون. لتعلمي انني اعرف بالتفصيل كل ما تحتويه هذه الحقيبة التي تجلسين عليها.

كان يحدّق فيها بنظرات فاحصة، ثم أضاف:

- نصيحتي اليك ان لا تعانديني اكثر من اللزوم كي لا ارغم على اثبات القول بالفعل.

- لا، لا، انك لن تفعل شيئاً كهذا! انت انبل من ان تكون بهذه الخسة.

انتصبت في جلستها وهي تحاول تغطية أطراف الحقيبة بيديها، واضافت:

- هذه حقيبتي انا.

- أجل، انها حقيبتك في الوقت الحاضر.

حدق فيها بطرف عينه كمن يتحفز للمبارزة، وأضاف:

- هل تظنين انك قادرة على منعي من أخذ الحقيبة وفتحها لأثبت هوية صاحبها امامك؟

- جرّب يا براد، وسترى...
فقاطعها ليقول:
- لا حاجة لأن اجرّب، يا كيت! لقد فات الأوان.
- فات الأوان! ماذا تعني؟
وبدأت تعرق كمن أصابته رعشة باردة فجأة وأضافت:
- ما دمت اعترفت بأن الأوان قد فات، لماذا رافقتني لتتحمل كل هذه المشقات؟
- لأسباب تخص شخصية.
- متأسفة يا براد، لست أفهم ماذا تقصد ان تقول.
قالت ذلك بصوت هامس وهي ترطب شفتيها الناشفتين بلسانها وتحدق في وجهه. رد عليها قائلاً:
- يجوز انك تقولين الحقيقة لأنك جئت الى هنا مغامرة لتعرفي حقيقة الأمور.
هبّ واقفاً ثم مشى ببطء بعيداً عنها حتى لم تعد تراه بسبب الظلام الدامس، وهي تتساءل بهلع: ترى من كان يقصد بحديثه! أيظن ان والدي متورط في المخالفات التي يرتكبها والت، ام انه يقصدني أنا شخصياً ولا يريد ان يتهمني صراحة بالتورط معها بطريقة من الطرق؟

ما أشبه السكون الذي يعقب العاصفة بالسكون الذي يسبقها. هكذا بدا الجو بعد هدوء العاصفة ليعيد الى كيت بعض الشعور بالارتياح وان لم يكن هناك ما يجعلها تشعر بذلك سوى الوحدة والوحشة، خاصة بعد غياب شريدان المفاجيء، وظهوره المفاجيء ليباغتها وهي تحاول عبثاً فتح حقيبة والت، ويقول لها:
- اذا كان فعلا يهمك معرفة محتويات حقيبتك، انا مستعد لمساعدتك في تحقيق رغبتك هذه.
فهزّت رأسها بالنفي وهي ترد عليه قائلة:
- لقد فات الأوان يا براد. الحق معك.

وصمتت تتأمله وهو يحدق فيها بنظرات اثبتت لها مدى رجولته وشهامته واهتمامه بها في الظروف العصيبة التي يمران بها، ثم أضافت:
- علينا ان نرحل من هنا بعد ان يتوقف المطر ويطلع الفجر.
- المحاولة لن تفيد قبل انقشاع الظلام وطلوع النهار.
لبث ينتظر جوابها. ولما بقيت صامتة، اضاف قائلاً:
- كيت، يجب ان تبقي هنا ريثما أذهب وأعود. اني ذاهب للبحث عن وسيلة نرحل بواسطتها من هنا الى اي مكان آخر.
- وهل تظن انك ستجد غير عربات الخيل في هذه الديار؟
- سيكون من حسن حظي اذا وجدت عربة خيل.
- لا أرجوك. لا تتعب نفسك اذن يا براد.
لكنه ذهب وتركها لأحلامها وقد بدأت تتذكر السيارات والمسابح، والمنازل المدفأة وغرف النوم الدافئة، وتفكر بالصدمة التي ستصيب والدها العائد غداً عندما يسمع بأن والت هرب، وبما يقوم به شريدان من تحريات ومطاردات ناشطة لمعرفة حقيقة العلاقة الغامضة القائمة بينه وبين والت مارلو، فضلاً عما تقوم به هي من محاولات يائسة لتخفي الكارثة، او بالأحرى لتأخيرها. والدهشة التي ستغمر والدها حينما تكتشف ان طوبها لم تكن من نسج خيالها وانما كانت حقيقية، دون ان تنسى المعرض وحفلة الافتتاح الليلة القادمة.

وكم لامت والدها على تردده في توضيح أسباب وحقيقة العلاقة القائمة بينه وبين والت، والأسباب الكامنة وراء صمته المطبق رغم محاولات الابتزاز والتهديد التي يمارسها بحقه وهو راض وقانع، لا يقول كلمة سوء ضده. وتساءلت: ماذا كان يضرّه يا ترى لو فعل؟ لو انه اوضح لي بعض الجوانب المحيطة بالعلاقة القائمة بينهما. ربما كان يتصور انني أحاول التدخل في ما لا يعنيني ويجهل انني انما كنت أحاول ذلك بدافع غيرتي على مستقبله وعلى سعادته وسعادة والدتي.

كانت لا تزال غارقة في بحر تلك التصورات المقلقة لما ظهر امامها بغتة وسألها:

- اي ساعة تتوقعين وصول والديك غداً؟

- قبل الظهر.

- حسناً، قد يحالفنا الحظ للعودة قبل ان يصلا.

- ارجو ذلك. اذ يجب عليّ ان استقبلهما. والسيارة؟

- سنذهب الى المطار بسيارتي. سأحاول انقاذ سيارتك اثناء النهار، اطمئني يا كيت.

قال ذلك بلهجة ناعمة، لطيفة، أشاعت في نفسها الاطمئنان الى صدق ما يقول. لم يخالجها ادنى شك في سلامة نواياه. وكانت واثقة بأنه سيفي بوعده [illegible] سيارتها، ويضع سيارته تحت تصرفها لاستقبال والديها، وسوف يوصلهما الى بيتها سالمة. باتت متأكدة من تحقيق كل هذه الأمور، وانما الذي كان يقلقها هو ان كل تلك الايجابيات لا تنسجم مع الوجه الآخر من سلبياته والطرق المخجلة التي يلجأ اليها في سياق القيام بواجباته، للدرجة انه لا يتورع عن مطاردة الجنس اللطيف والتودد اليهن، لا لشيء الا للحصول منهن على بعض المعلومات عن المهمة التي انتدب لها، بعد ان يثقن به ويعتبرون علاقتهن معه بداية لرحلة طويلة الى الحب والزواج.

سألها:

- كيف كاحلك الآن؟ يبدو ان لفافته تشققت ويلزمها ترطيب.

- لا حاجة لذلك. لا تتعب نفسك.

- لا تعب مطلقاً.

- ارجوك، لا تتعب نفسك.

وهنا، احتدم النقاش بينهما. كان يتهمها بالعناد والمشاكسة دون اي مبرر، وعدم ثقتها به بعد كل بوادر الاطمئنان التي كشف عنها في مناسبات مختلفة. وكانت هي ترد عليه محمّلة اياه مسؤولية كل ما كان يجري بينهما من مماحكات ومشاحنات، ومواجهات صاخبة احياناً،

بسبب التصرفات التي يمارسها نحوها. الى ان انتهت الى اتهامه بزعزعة ثقتها به وعدم توفير عناصر الاطمئنان الى صدق نواياه ما دام لا يكف عن مطاردتها، ناسياً ان الحب شعور متبادل بين شخصين لا يتكامل وينمو في قلبيهما بدون الثقة متبادلة والاحترام المتبادل، والمودة والالفة، ان الحب ليس سلعة، وانما هو شعور له قدسيته وحرمته.

تأملها شريدان، ولكن بنظرات مختلفة الآن، وهو يعرق ويلهث ويتشنج كأنه خارج من معركة ضارية، كأنه انتصر على ذاته الانانية بفضل ذكائها وجرأتها وصراحتها، وابتعادها عن التفكير باللهو لعابر، خاطبها قائلاً:

- هنيئاً لك هذا الانتصار يا كيت.

واستدار وذهب الى طريقه.

٨ـ الغيوم تتبدّد

ـ اصبري يا نفسي وتحمّلي، فلكل شيء نهاية ولا بد من ان تكون لهذا الليل نهاية.

هكذا راحت تناجي نفسها وهي جالسة في زاوية ذلك الهيكل القديم المهجور، تصغي لصدى كل خطوة من خطوات شريدان حتى تلاشى الصدى وغابت صورته عن ناظريها، فراحت تسلّي نفسها بمراقبة ما تستطيع رؤيته في الظلام الذي غطّى الدنيا حولها. نجوم متلألئة، وفراشات وحشرات حائمة هنا وهناك، وأشجار، ونباتات، وأشواك، وطواويط تتحدّى الريح بطيرانها الخاطف. كانت تصغي الى هدير المياه المنسابة بقوة نحو التجمعات والمستنقعات جارفة معها الحصى والحجارة واغصان الشجر والشوك وكل ما تصادفه في الطريق الى طنين الحشرات والبرغش، وعواء الثعالب، وحفيف اوراق الشجر، وقعقعة الحجارة المتدحرجة مع المياه من كل حدب وصوب.

لا تذكر أنها شعرت ولو مرة واحدة في حياتها بالوحدة والوحشة مثلما تشعر الآن. لاسيما ان الوحدة هنا كانت من نوع مختلف. وحدة مقرونة بالوحشة والكآبة والخوف على المصير. وزاد في حدّتها وضراوتها ان رفيق السفر الذي قاده القدر ليشاركها الهموم والمتاعب قد فارقها ليذهب ويبحث عن وسيلة ما تنقذهما من هذا الجحيم. جلست هناك تنتظر عودته بفارغ الصبر ولسان حالها يقول: ما اضيق

العيش لولا الأمل.

لبثت تنتظره وتقضي الوقت تارة بمراقبة القمر والنجوم واشياء الطبيعة التي تسمع حركاتها ولا تراها، وتارة اخرى بالمشي ذهاباً واياباً على ارضية الهيكل القديم، حتى غلبها النعاس ونامت بضع ساعات، لم تستيقظ خلالها ابداً الا عندما شعرت بمن يلكز كتفها ويقول لها بصوت هامس:

ـ هيا انهضي يا كيت... صارت الساعة السادسة وعلينا ان نفعل شيئاً.

ظل واقفاً امامها يتأملها وهي تتململ وتفرك عينيها بيدها لتنفض عنها النوم الذي استبد بها. ثم راحت تمط وتمدّد ذراعيها ورجليها لتحريك الدورة الدموية، وهي تسوّي تغضنات سترته قبل ان تناوله اياها بعد ان استعملتها لتغطية جسمها اثناء النوم.

قال لها بلهجة رقيقة وهو يتأملها تتهيأ للنهوض:

ـ هناك بركة ماء قريبة من هنا لتغسلي وجهك، ولكن اياك ان تشربي منها.

ـ لن اشرب منها، اطمئن.

نهضت ومشت الى جانبه وهو يسندها بذراعه لئلا تتعثر في خطاها المترجرجة. سارا معاً نحو بركة الماء التي كانت اعشاب الخزاز والطحلب واللوتس النامية حولها، تضفي عليها صورة لوحة رائعة من الوان الطبيعة وسط هالة من الضباب الذي ينتشر عادة في المناطق الاستوائية في الصباح، مصحوباً بلفحة باردة سرعان ما تتلاشى مع انتشار أشعة الشمس. اثار منظر البركة والأعشاب التي تظللها رعشة حلوة من النشوة في نفسية الآنسة كيت، لدرجة انها كادت تقفز فيها لتسبح لولا ضيق الوقت الضاغط عليها للعودة الى البيت سريعاً كي تستطيع التوجه الى المطار لاستقبال والديها المتوقع وصولهما ذلك اليوم. واكتفت بغسل يديها ورجليها وازالة الوحل العالق بقدميها واطراف تنورتها. ثم مشطت شعرها وعادت ادراجها الى حيث كان

يتظرها وقد استعادت حيويتها ونشاطها.

كان السيد شريدان لا يزال يأكل بعض الاناناس الطازج عندما وصلت الآنسة كيت، فعرض عليها ان تشاركه في أكل هذه الفاكهة الغنية بعصيرها اللذيذ. لكنها اعتذرت له عن ذلك ربما بسبب فقدان شهيتها على تناول أي شيء مهما كان مثيراً للشهية بعد كل تلك المتاعب التي واجهتها اثناء الليل.

وما ان انتهى شريدان من أكل الاناناس حتى انطلقا في مسيرتها نحو مضرب لخيام احدى القبائل الافريقية، حيث جاء شريدان اثناء الليل واتفق مع رجل هناك يملك سيارة قديمة كي ينقلها بها الى احدى المستوطنات التجارية الاوروبية، ليتابعا السفر منها بسيارة حديثة الى ماهور.

وكم كانت دهشة كيت عندما شاهدت شريدان يحتل مقعد القيادة. ثم اجلسها بجانبه واوعز لصاحب السيارة بالجلوس في المقعد الخلفي، وقد تجمع حولهم حشد كبير من الاهالي، يحدقون فيهم بدهشة واستغراب. اما دهشتها هي من تولي شريدان قيادة السيارة عن صاحبها فقد زالت عندما عرّج بها على السوق وقد جلبته رائحة الخضار والفواكه والفراريج الطازجة ليشتري منها كمية وافرة يحملها معه الى ماهور.

ثم تابع المسيرة باتجاه ماهور حتى اذا قطعت السيارة مسافة غير قصيرة صارت الآنسة كيت ترقص طرباً في مقعدها بعد ان لمحت صورة ضواحي ماهور تبرز أمامها بوضوح فيما كانت السيارة تقترب منها، مما أثار في نفسها موجة عارمة من الحنين كأنها عائدة الى ماهور بعد سنوات طويلة من الغربة.

كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة لما انعطف شريدان بالسيارة الى الطريق المؤدية الى منزل الآنسة كيت، واذا بها تقفز من السيارة الى الارض، بصورة لا شعورية، قبل ان يتسنى لشريدان توقيف السيارة نهائياً وضبط فراملها، لترى الخادم بيتي يجري مسرعاً نحوها

لاستقبالها وهو يلوح بيديه مرحباً بمقدمها كمن يجد واحداً من اهله بعد ضياعه وفقدان الأمل بعودته، بعد ان امضى الليلة الماضية ساهراً وهو قلق على مصيرها.

- انا بخير، انا بخير، يا بني، لا تخف! آسفة على كل ما سببته لك من قلق وازعاج.

واقتربت منه وهي تلاطفه وتطيب خاطره وتربت على كتفه، سائلة:

- ماذا اصابك؟ اين كنت يا سيدتي كيت؟

واشار بهلع الى قدمها المرضوضة والملفوفة بمنديل.

- لا تخف، لقد تحسنت كثيراً الآن. ساحكي لك عن كل شيء. هل وصلتني رسالة من أحد؟

- كلا، لم تصلك اية رسالة. ماذا تريدين ان احضر لوجبة الغداء قبل...

لكنها دخلت الدار قبل ان ينهي كلامه وهي تفكر بعدة امور عليها ان تفعلها قبل الذهاب الى المطار وكأنها في سباق مع الزمن. لم يكن امامها اكثر من اربعين دقيقة لتنظف نفسها، وتغير ثيابها، وتحاول الاتصال بالسيد والت ثم الى المطار، لتعود بعد ذلك وتستعد للاشتراك في افتتاح المعرض الليلة.

كل ذلك وهي حاملة حقيبة والت بين يديها، تبحث في دليل الهاتف عن رقم بيته. ثم بدأت تطلب الرقم واصبعها يرتجف. كانت تشعر بالحرج بعد مرور كل ذلك الوقت على الموعد المضروب. ردّ عليها صوت من الطرف الآخر يقول:

- آسف، السيد والت ليس موجوداً... ترك باكراً في الصباح دون ان يترك عنوانه او اية رسالة لأحد...

وانقطع الخط، فوضعت السماعة في مكانها وهي تشعر بأن رجليها لم تعودا قادرتين على حملها من فرط الفزع الذي اعتراها، وهي تتساءل: ماذا عساي افعل الآن؟ واين ذهب يا ترى؟ ثم

استدارت لترى لدهشتها السيد شريدان واقفاً في وسط المدخل يخاطبها قائلاً:

- لقد قلت لك بأن الوقت قد فات.

وتأملها قليلاً ثم اضاف:

- امامك ربع ساعة كي تستعدي للذهاب الى المطار. الطائرة ستصل بعد نصف ساعة.

- سأكون جاهزة في الوقت المناسب.

- حسناً، سأذهب لتغيير قميصي وأعود بعد ربع ساعة.

وهمّ بالخروج لكن شيئاً استوقفه فاستدار وقال لها:

- متأسف ولكن الضرورة تقضي علي بأن آخذ هذه، يا كيت.

تناول حقيبة والـ[illegible] ومشى مسرعاً نحو الباب فلحقته كيت وهي تصرخ:

- لا، لا، لا تأخذها. هاتها يا براد، ان لم يكن لشيء، فاكراماً لخاطري اذا كان يهمك.

- أجل، كرامتك محفوظة يا كيت، ولكن هناك اموراً اخرى تهمني ومن واجبي الاهتمام بها. هل تريدين قائمة بها؟

- كلا، لا اريد. لكنني اريد استعادة الحقيبة.

- لماذا؟ أتريدين التخلص منها؟

- ربما! اذا قضت الضرورة.

- آسف، يا كيت، لن اسمح لك بذلك.

- حتى وان اخبرتك بأنها تحتوي شيئاً يسيء الى كرامة والدي او يحطم مستقبله.

- لكن الموضوع لم يعد يتعلق بي وحدي. فماذا أقول للشرطة؟

- الشرطة! وما دخل الشرطة بالموضوع؟ لا، لا اصدق.

- بل، يجب ان تصدقيني يا كيت. هناك فضائح كثيرة لم يعد بالامكان السكوت عنها.

- هل تعني أنك عازم على التعاون مع البوليس حتى النهاية؟

- نعم، حتى النهاية، اذ لا مفر لي من ذلك. هذا هو الواقع، يا كيت، آسف! سيئتان لا تعادلان حسنة واحدة، أليس كذلك؟

- أهكذا تنظر الى الأمور؟

- نعم، لأنه ليس أمامي اي خيار آخر يا كيت.

ومشى صوب الباب للخروج فتبعته وهي تصرخ بائسة:

- حرام عليك يا براد ارجوك ان تعيدها الي.

وكادت ان تنقض عليه وتختطف الحقيبة من بين يديه وتمزقها ارباً ارباً، لو لم تتغلب الحكمة على انفعالها الآني وتصدها عن الاتيان بمثل هذا العمل المحفوف بالمخاطر، لتستعيد رزانتها وترضى بالهزيمة على مضض. قالت له وهي تشهق وتتنهد بعمق:

- حسب، خذها، ولكن اعلم انك اذا حطمت سعادة والدي فانني سأكرهك ما دمت حياً.

- انت مخطئة يا كيت! ما سأفعله قد ينقذ سعادتها ومستقبلها.

- مستحيل، مستحيل ان اصدق ذلك. ما يهمك هو ارضاء عجرفتك وكبريائك وعنادك. ومن اجل تحقيق ذلك لن تتورع عن القيام بأي عمل مهما كان تافهاً ومنحطاً. انني لن اغفر لك ابداً ما سيحل بوالدي من اساءة بسبب الاعمال التي تنوي القيام بها. لا تنس.

- سامحك الله يا كيت على سوء ظنك بي. لكنني ما زلت عند قولي بأنك مخطئة ولا فائدة من كل هذا الجدل العقيم لاقناعك.

وخرج من البيت.

ما ان اغلقت الباب حتى رنّ التلفون فركضت كيت على غير هدى لترده، فتعثرت في خطاها اذ شعرت بدوار افقدها صوابها، وصارت ترى العتمة تغطي جو الغرفة، وتتردد في اذنيها اصداء أصوات صاخبة مخيفة. مدّت يديها الى الحائط كي تستند به لئلا تقع ارضاً، فخانتها المحاولة وهوت الى الارض فاقدة الوعي للمرة الاولى في حياتها.

بدت لجوجة، دائمة الحركة كأنها تبحث عن شيء هام افتقدته، الى ان وجدت ضالتها المنشودة في شخصية والدتها جالسة في اقصى طرف الصالة مع السيدة ماديسون. فوجئت قبل ان تصل الى والدتها بيد تربت على كتفها من الخلف. فاستدارت لتجد نفسها وجهاً لوجه امام والدها. صدمت من رؤية ملامح الوجوم والقلق بارزة بوضوح على وجهه، ومن لهجته الجافة عندما سألها:

- لماذا لم تخبريني يا كيت؟

- ماذا اخبرك؟ لست افهم ماذا تعني.

- والت، الم تسمعي عنه شيئاً؟ لقد اعتقلوه في مدينة بناتغ.

- يا الهي! ولكن كيف اعتقلوه، ولماذا؟

- لا تخفي عني شيئاً، يا كيت. كل الناس في ماهور يتداولون الأقوال والشائعات حول اعتقاله قبل يومين. الم تسمعي هذا الخبر؟

- نعم، سمعت انه يحاول الهرب.

امسكته بذراعه وهي محتفظة بهدوء اعصابها وقالت:

- تعال معي يا ابي لنتحدث في مكان آخر. كان بودي ان اطلعك على الخبر حال وصولك ولكنني لم اجد الفرصة مناسبة.

وجهت خطواته الى غرفة الملابس التي وجدتها لحسن حظها خالية من الناس، فدخلتها ولحق بها.

ولأول مرة منذ وصولها الى ماهور شعرت كيت بالارتياح. لقد توفرت لها الفرصة الوحيدة التي طالما حاولت اقتناصها، في سبيل الوصول الى الاجتماع بوالدها على انفراد، بغية اقناعه للبوح لها بالقلق الذي يراوده بصورة دائمة، وبحقيقة العلاقة القائمة بينه وبين والت، وحقيقة الاسباب التي تجعله يبدو وكأنه دمية يلهو بها والت حسبما يشاء وساعة يشاء. وحقيقة الاشاعات التي راجت على اثر انتحار ليلى زوجة والد والت الثانية بسبب تعلقها به.

جلست امامه وهي لا تتمالك نفسها من اخفاء مظاهر الارتياح الذي غمرها كأنها تعيش احلى فرصة في حياتها وبادرته بقولها:

- ليلة البارحة اتصل بي والت هاتفياً وسألني عما اذا كانت حقيبته عندنا. ثم طلب مني ان احملها اليه بعد ان اعطاني عنوانه. وبعد اخذ ورد وافقت على الذهاب وتسليمه الحقيبة. لم يخطر ببالي ابداً ان شريدان كان يراقبني في تلك الساعة المتأخرة من الليل ليباغتني وانا اهم بفتح باب السيارة والركوب فيها، ويصر على مرافقتي رغم ارادتي. لم يكن يهمني كل ذلك لو لم يستول على الحقيبة. انها معه الآن، فما العمل؟

- يا له من تافه.

نهض من مقعده، واضاف:

- كنت اتوقع حدوث ما حدث. كان يذرع ارض الغرفة ذهاباً واياباً وهو حائر ومرتبك، كأنه لم يستوعب بعد ما قالته ليأخذه بجدية، فاستوقفته بمدة من يدها وهي تقول له بلهفة:

- اخبرني الحقيقة يا والدي ولا تخف عني شيئاً، بحق السماء. الى اي مدى انت متورط في هذه الأمور؟ لا يهمني امر والت اطلاقاً، ولا اعمال التزوير التي يقوم بها، فهذه امور يلاحقها شريدان ويتحرى عنها. وانما يهمني معرفة ما اذا كان بامكان والت ان يجرك الى مشاركته في المسؤولية عن تلك الاعمال الشائنة التي يمارسها. اخبرني، صارحني الحقيقة لان قلقي عليك يكاد يقتلني.

- كلا يا كيتي، والت لا يستطيع ان يورطني معه بأي شيء.

ولكنني لا افهم لماذا يستدرجك الى التورط في امور لا علاقة لك بها. لا يحق له ابداً ان يزجك في امور لا تعني احداً سواه. غريب. شيء غير معقول.

- لم يكن بوسعي ان ارفض. الواضح انه يحاول ابتزازي وتوريطي في اشياء غير مستحبة تماماً كما يحاول ابتزازك وتهديدك منذ زمن طويل. ولما لم يرد عليها، اذ بقي صامتاً يتأملها بوجوم وقلق، اضافت تقول:

- كنت اسمع الاشاعات ولا اصدقها لكن تواتر الاحداث بطريقة

دراماتيكية جعلتني اميل الى تصديقها. ارجوك يا والدي ان تخبرني الحقيقة، ان تبوح لي بمكنونات صدرك ولو مرة واحدة في حياتك حتى اعود الى لندن وانا مرتاحة البال. لا استطيع العودة الى لندن قبل جلاء حقيقة كل تلك الأمور. انني قلقة ويكاد القلق يقتلني. ارجوك، يا ابتي، قل لي الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة.

صمتت تراقب خطواته المضطربة وحركاته المثيرة للقلق، وهو يحدق في وجهها حيناً ويرفع رأسه نحو السقف حيناً آخر وكأنه يستعد لخوض الجولة الحاسمة التي استدرجته اليها بلباقة وجرأة. ثم اقترب من الكرسي والقى بثقله عليه وهو يتأملها تارة، ويحول ناظريه عنها طوراً الى ان اقتنع بأن لا مفر له من الاعتراف لها بجميع الحقائق، فبدأ يروي لها القصة الكاملة قائلاً:

ـ لا يخفى عليك ان العلاقة بيني وبين والدك بدأت طبيعية مثلها مثل اي علاقة تنشأ بين شخصين يعملان معاً في شركة واحدة. وظلت علاقتنا حسنة الى ان اشتبهت بانه يحيد عن طريق الفضيلة. لكنني لم احرك ساكناً في بداية الأمر بانتظار ان تتوضح الأمور اكثر واكثر. وتعاقبت الأمور والأيام لتدفعني الى الاعتقاد بانني كنت على صواب. كل شيء كان واضحاً وبديهياً لا يقبل الشك... تبذيره للمال، السيارات الفخمة التي كان يقتنيها، النساء اللواتي كان يعاشرهن، فضلاً عن لعب الميسر... كل هذه التصرفات التي كان يمارسها كانت تدينه، لا سيما وانني كنت اعرف تماماً اوضاعه المالية والراتب الذي يتقاضاه. اخيراً اقتنعت بانه كان يسرق من اموال الشركة وحذرته من عواقب السرقة الوخيمة، ونصحته بالكف عن السرقة، وعرضت عليه مساعدتي لتمكينه من تسديد ديونه اذا كان متورطاً في الديون.

وصمت ليلتقط انفاسه وهو يتأمل اجواء الغرفة، ثم تابع يقول:

ـ لكنه انكر كل شيء وغير مجرى الحديث ليحدثني عن ليلى ويهددني بانه سيخبر امك عما وصفه بعلاقات مشبوهة بيني وبينها اذا

ظللت اتدخل في شؤونه. فماذا كان بوسعي ان افعل؟ ما كنت املك برهاناً قاطعاً ضده، وعلى افتراض ان لدي هكذا برهان، لم املك الجرأة الكافية لاعلانه. حدث كل ذلك قبل مجيء شريدان. كان من واجبي ان اعلمه بما يخامرني من ظنون لكنني طويت السر بين ضلوعي على امل ان يكتشف امره عاجلاً ام آجلاً، يقيناً مني بان سعادة زوجتي هي اغلى شيء عندي.

سألته بالحاح:

ـ وماذا بعد؟

ـ لا، ابداً. هذه هي القصة كلها، من البداية حتى النهاية. انا لا اصدق بان ابنتي الغالية تميل الى اتهامي بالسرقة. صدقيني يا عزيزتي بانني لم ولن امد يدي لأخذ فلس واحد ليس ملكي ما بقيت حياً.

بقيت كيت صامتة وهي تشعر بالارتياح بعد ان ايقنت ان لا خوف على والدها من اتهامه بالسرقة. ولكن ماذا عن ليلى وحقيقة الاشاعات التي انتشرت حول علاقتها بوالدها؟ وما دامت الفرصة مناسبة الآن، عليها ان تنتهزها وتلح عليه كي يروي لها القصة كما عاشها هو. وهكذا اقتربت منه وعانقته بحرارة ثم سألته:

ـ ماذا كانت طبيعة العلاقة بينك وبين ليلى؟ هل القصة التي انتشرت صحيحة؟

ـ الى حد ما صحيحة، ولكن ليس حسبما يرويها والدك.

ـ هل لك ان تخبرني اياها يا ابي؟

قالت ذلك همساً، واضافت:

ـ ولا تنس انني كبرت واصبحت افهم مجريات الحياة على حقيقتها وادرك بالتالي انك لن تفعل شيئاً يسيء الى امي.

ـ ما كان بودي ان احدثك عن امور كهذه بعد ان اصبحت في خبر كان. لا بأس، سأخبرك الآن. ليلى كانت مسكينة. عاشت حياة بائسة في طفولتها ثم تزوجت اول رجل طلب يدها اعتقاداً منها بان هذه الطريقة الوحيدة للخلاص من البؤس والشقاء. وشاء سوء

طالعها ان يكون والد والت ذلك الرجل الأول الذي طلب يدها. كيت، انا لم احب ليلى بالمعنى الحقيقي للكلمة. مستحيل ان احب ليلى او غير ليلى لأن امك كانت المرأة الوحيدة التي احببتها. لكنني كنت اشفق عليها وعلى حياتها المضطربة في مزرعة زوجها. وقد زاد في تعاستها وشقائها ان السيد مارث، والد والت، لم يتمكن من نسيان زوجته الأولى، وان كان يعامل ليلى بلطف ويحبها على طريقته الخاصة. كان يلح عليها كي تنجب له ابنة. انه مغروم بحبه للبنات. الا تذكرين كم كان يلاطفك ويحبك؟

اومأت كيت رأسها بالموافقة وقد استيقظت في خيالها ذكرى ذلك الرجل اللطيف الكريم الذي كانت تناديه العم مارث، ولسان حالها يقول: شتان ما بين ذلك الأب النبيل وهذا الابن الحقير.

وتابع والدها حديثه قائلاً:

- لكن فكرة انجاب الأولاد افزعت ليلى، لا لشيء الا لاقتناعها بأنها ستتعرض لحادث خطير ساعة الولادة ولن يتمكن الاطباء من انقاذها نظراً للمسافة الطويلة التي تفصل بين المزرعة التي تقيم فيها والمدينة، لذلك رفضت الانصياع لطلبه. ثم لا تنسي كم كان والت شقياً وصعب المراس لدرجة ان جميع محاولاتها الرامية لارضائه، ومعالجة اموره، والتكيف معه ذهبت ادراج الرياح. حتى باتت تنتظر بفارغ الصبر، كلما جاء لتمضية العطلة المدرسية في مزرعة والده، عودته الى حيث اتى. كل ذلك وهي صابرة وراضية بحياتها التعيسة، الى ان طفح الكيل فاتصلت بي. باحت الي بكل متاعبها ومصاعبها، فحاولت قدر استطاعتي ان اخفف عنها حدة تلك المتاعب، واكدت لها بان والت سيعود الى جادة الصواب بعد ان يتجاوز سن المراهقة. فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة ان ليلى بدأت تظهر تعلقها بي.

صمت وقد احمرت عيناه من فرط الاسى الذي بدأ يحز في نفسه، ثم اضاف:

- ومنذ ذلك الحين اصبحت الحياة اشبه بكابوس مزعج، ومع

ذلك بقيت اتابع حياتي كأن شيئاً جديداً لم يطرأ عليها. تصوري، يا كيت، كم اصبحت الحياة صعبة بالنسبة الينا جميعاً، وكم كان موقفي حرجاً كلما ذهبت انا وامك لزيارتها في مزرعتها، او كلما جاءا هما لزيارتنا في ماهور. وما ادراك كيف كانت ماهور في تلك الأيام! كانت ماهور بلدة صغيرة. لم يكن فيها سوى فندق واحد، وبضعة تجار، ومصرف واحد. ولم يكن فيها اية شركة طيران. سكة الحديد كانت الوسيلة الوحيدة للسفر، والزوارق التي كنا نشم الهواء فيها اثناء العطلة الاسبوعية.

وصمت لحظة كأنه يحاول ان يجمع شتات افكاره ويستعيد انفاسه، ثم تابع قائلاً:

- ونظراً لصغر البلدة كان جميع سكانها يعرفون بعضهم البعض، وهنا تكمن مشكلتي اذ كان الناس يتصورونني ذاهباً لملاقاة ليلى كيفما تحولت وحيثما اتجهت. ولكن المشكلة الكبرى جاءت عندما التقيت ليلى ذات يوم واخبرتني بانها تحبني. شيء غير معقول ولكنه حدث. والادهى من ذلك انها انفجرت بالبكاء عندما حاولت صدها عن غيها وانا الاطفها واما زحها، يقيناً مني بان افضل طريقة لمواجهة ذلك الموقف غير المعقول اطلاقاً هي بتحويل الواقع المرير الذي عبرت عنه الى نكتة. لكنها اصرت على موقفها وراحت تطلب مني ان احبها ونهرب معاً. وعبثاً حاولت ان اقنعها بانها تطلب المستحيل، فلم تقتنع. اذ كيف يليق بي ان اضحي باعز مخلوقتين عندي في العالم، انت وامك، وباعز صديق عندي، تعرفينه، أليس كذلك! في سبيل حب طائش! مستحيل ان يحدث شيء كهذا. وقد افهمتها بالقلم العريض، فلم ترد ان تفهم.

صمت وهو يتنهد بصوت متهدج، ويداه ترتعشان وعيناه تتأملان كيت بصورة غريبة كأنهما تتوسلان اليها كي تفهمه كل الفهم، وتابع حديثه:

- كيت، احلفك بشرفك... ماذا تقولين عن رجل يتهرب من

مد يد المساعدة لامرأة تستغيث به لانتشالها من بؤرة احزانها؟ وكيف تصفينه؟ الا يستحق مثل هذا الرجل ابشع الاوصاف واحقرها؟ هكذا رجل، برأيي، لا يمكن ان يكون الا عديم الشفقة ومجردا من الانسانية. هكذا كان وصفي بالنسبة اليها، يا كيت، اذ وجدت نفسي مرغماً على مواساتها، وعمل اي شيء من شأنه ان يحول دون وقوع الكارثة... فطوقتها بذراعي للمرة الأولى والاخيرة في حياتي. وشاء القدر ان يرانا والت ويفسر ذلك على طريقته الصبيانية الخاصة. كان والت صبياً لا يمكنه ان يدرك انني كنت احاول ان اقنعها بالعدول عن مخاوفها التي لا مبرر لها، واتوسل اليها كي لا تعرض حياتها الزوجية للخطر حتى اقنعتها بان تعود الى المنزل، وتستقر في حياتها الزوجية، وتكون زوجة وفية للسيد مارث. وانا بدوري صرفت النظر عنها. غير ان الرياح كانت تجري بما لا تشتهي السفن، اذ اضطر السيد مارث على السفر الى سنغافورة في رحلة عمل ولم ترافقه ليلى هذه المرة كعادتها. وقبل ان تقلع طائرته من المطار فوجئت بالخادم يسلمني رسالة من ليلى تقول فيها بانها بذلت قصارى جهدها كي تستقر في حياتها مع السيد والث فلم تستطع، وانها تنوي ان تتركه لانها لا تستطيع الاستمرار في العيش معه بسبب حبها لي. الى ان انتهت الى القول بانها ستكون بانتظاري في الفندق، وهي تتوسل الي قائلة: «انني ارجوك ان تأتي يا حبيبي لأنني لا استطيع العيش بدونك». وصمت فيما ظلت ابنته تحدق في وجهه بكل حواسها وجوارحها، كأنها تريد ان توحي له بمتابعة حديثه، فهز برأسه وتابع يقول:

- في مثل هذه الظروف، فعلت الشيء الوحيد الذي اعتقد انه الشيء الصحيح. اما بالنسبة الى ما كان سيحدث فيما لو لبيت توسلاتها الحارة فالعلم عند الله وحده. وهكذا طويت الرسالة وكتبت على ظهرها: «يجب ان تعرفي جوابي، يا ليلى، فما لك ولهذه الفكرة المجنونة». ثم وضعتها داخل الظرف وقلت للخادم كي

يذهب ويسلمها للسيدة مارلو. وما ان غادر الغلام حتى خرجت انا بدوري للقيام بزيارة الى الناحية الشمالية للمزرعة لمدة يومين حسبتها كافية لاعادة الامور الى نصابها الصحيح. اذ سيعود السيد مارث خلالها الى بيته، وليلى، اما ان تعود الى جادة صوابها وتعقلها واما ان تذهب لوحدها. وكان ان حدث ما حدث خلال تينك اليومين، ولدى عودتي الى البيت سمعت بالخبر المفجع.

غلبه الصمت وهو يخفي وجهه بيديه، قبل ان يتطلع ثانية الى ابنته ويضيف بمرارة:

- ومنذ ذلك الحين وانا اشعر بوخز الضمير. ولكن انى لي معرفة ما كان سيحدث، وماذا كان يتوجب علي عمله؟

- ليتني ادري، لست ادري!

ردت كيت بصوت هامس:

رد والمرارة تحز في نفسه:

- لو ذهبت الى الفندق لكانت المصيبة ادهى وامر. وكنت اشعر بان علي ان اكون مخلصاً ووفياً لزوجتي وابنتي قبل اي شخص آخر. هذا هو الجرم الذي كان يثقل ضميري طيلة تلك السنوات الماضية، وهذا هو المأخذ الوحيد الذي يلوح به السيد والث ضدي، ويهدد بتحطيم قلب زوجتي به.

- كلا، يا عزيزي، ليس بعد اليوم!

سمعا صوتاً يقول ذلك بنعومة من خلف الباب.

هز رأسه، بينما استدارت ابنته لترى لدهشتها والدتها واقفة على مقربة منها، ثم مشت وجلست بجانب زوجها المذعور وهي تخاطبه:

- لماذا كتمت عني كل هذه الاخبار؟

- من اجل ان تبقي سعيدة، يا عزيزتي. لا، لم يكن بوسعي المجازفة بسعادتنا في سبيل حب وهمي!

- لكنني كنت اعرف.

..وضعت يدها في يده، ثم اضافت:

- مسكينة ليلى، لم تنجح ابداً في اخفاء مشاعرها نحوك كلما كانت تذكر اسمك. كنت ادرك حقيقة شعورها بحدسي ككل امرأة تحب زوجها.

- ومع ذلك اخفيت عني ارتيابك بوفائي!

- لا، يا عزيزي، ولا مرة اشتبهت باخلاصك لي. لكنني لا انكر بان قلبي كان يحدثني احياناً بان وراء الأكمة ما وراءها. ولطالما حدثتني نفسي بان افاتحك بهذا الموضوع، لا لشيء الا لأنبهك الى الاشاعات الرائجة حول العلاقة القائمة بينكما. ثم كنت امسك لساني عن الكلام. لو انني فعلت، آه، من يدري لربما كنت تفاديت وقوع الكارثة

صمتت تتأمله بحنان، ثم اضافت:

- لم افاتحك بالموضوع لأنني احترت كيف ومن اين اطرح مثل هذا الموضوع، خاصة لأنني احبك واثق بك، واعرف تماماً انك تحبني.

قالت ذلك وهي تسحب يدها من بين يديه برفق، ثم نهضت وقالت لها بمرح:

- هيا بنا نذهب الى البيت كي تنام ملء الجفون بعد ان انجلت القلوب وتبددت الغيوم الكالحة.

٩ - للحب جولة ثانية

امضت الآنسة كيت الاسبوع الأخير من فرصتها الطويلة مع اهلها في البيت لتحتفي بصحبة والديها وتساعدها في تدبير شؤون المنزل، تسامرها، وتستقبل الضيوف وتودعهم، وهي لا تريد سوى تعزيز روابط الحنان والمودة بينها وبين والديها، والثقة والاحترام بينها وبين والدها. وفي الليلة السابقة لرحيلها اقامت حفلة عشاء متواضعة دعت اليها بعض الأصدقاء، بينهم السيد ركس الذي حظي بقسط وافر من الشفقة نظراً لقدومه بمفرده. كانت زوجته ايفون تسرح وتمرح في اجواء استراليا الملطفة، ولن تعود الى ماهور الا بعد ان تلد.

كانت ملامح الحزن البارزة بوضوح على وجوه الحاضرين تطغى على مظاهر البهجة التي يحاولون اشاعتها على جو السهرة، بسبب اقتناعهم بأنهم كانوا يحتفلون بوداع من اعادت الى الحياة الاجتماعية في ماهور بهجتها وروتقها وحيويتها، لتغادرهم غداً وبذلك يغيب عن مسرح حياتهم الاجتماعية ذلك النجم الساطع الذي كان يفيض حيوية ورشاقة وجمالاً، فتعود الحياة الى سابق ركودها وجمودها.

وزاد في اكتئاب الحاضرين ان وجوهاً بارزة اخرى ستغادر ماهور خلال فترة قصيرة من الزمن. السيدة فانهان كانت هي الأخرى ستغادر البلدة في اليوم التالي. وكذلك السيد ماديسون وزوجته سيغادران ماهور خلال شهرين بعد ان يحال على التقاعد، فضلاً عن

السيد شريدان الذي غادر بعد المعرض بيوم واحد.

الحاضرون كلهم كانوا قلقين على مصير الحياة الاجتماعية بعد غياب الآنسة كيت، في حين كانت كيت قلقة على مصير السيد شريدان، اذ ظلت صورته ماثلة في خيالها طيلة السهرة. كانت لا تريد ان تفكر بالسيد والت اطلاقا اذ كانت تعتبره مصدر جميع المتاعب والمصاعب التي يواجهها والدها، وتتمنى من كل قلبها ان يذهب الى غير رجعة، لتعود الى والدها طمأنينته وسعادته.

ومع ذلك لم ينس الحاضرون وجه السيد والت والحديث عنه والاشاعات المتداولة في اوساط ماهور حول توقيفه في مطار بنانغ من قبل البوليس. من الاشاعات الرائجة انه تشاجر مع احد رجال البوليس في المطار فاعتقل للتحقيق في الحادث. واشاعة اخرى تقول ان البوليس القى القبض عليه هناك للتحقيق معه في الاتهامات الموجهة ضده من الشركة التي يعمل فيها. ولكن هذه كلها تبقى مجرد اشاعات، ولا احد يعرف، لا الآنسة كيت، ولا اي شخص آخر غيرها، الاسباب الحقيقية الكامنة وراء هرب السيد والت واعتقاله في مطار مدينة بنانغ. ويبقى ان اقصى ما كانت تتمناه كيت وهي تسمع اخباره هو ان لا يورط والدها معه في اية مخالفة من المخالفات المتهم بها.

لم يكن احد من الحاضرين يتوقع ان تكون الآنسة كيت صامتة، واجمة، وشاردة الذهن طيلة السهرة، او يتكهن بالاسباب التي جعلتها تتصرف خلافا لعادتها. والواقع هو ان كيت كانت لا تزال تعيش في اجواء ذلك الصراع الذاتي الناشب بين ضميرها وكبريائها منذ الاصطدام الذي حصل بينها وبين براد شريدان ليلة العرض، والذي تفاقمت حدته في اليوم التالي اذ غادر ماهور دون ان يكلف نفسه ليأتي عندها ويودعها ولو بصورة عابرة. كانت تحبه حباً جارفاً يفوق قدرتها وتصورها على التحمل، ولذا كانت تشعر بفراغ هائل في حياتها تلك الليلة. كانت قاسية في حكمها عليه، وعلى

نفسها بالذات، في آن معاً.

- وهكذا قضت معظم ساعات السهرة وهي حائرة ومرتبكة لدرجة انها لم تشعر حين وجهت السيدة ماديسون اليها حديثاً لترد عليها الا بعدما لكزتها والدتها للفت نظرها، فاعتذرت لها واشتركت معها في الحديث دون ان تتمكن من اخفاء الحيرة التي كانت غارقة فيها.

في هذه الاثناء بدأ الحاضرون بمغادرة المنزل، الواحد بعد الآخر، ولكن ببطء. اذ كان كل واحد منهم يتذكر، في آخر لحظة، نادرة ما، او نكتة، فيتباطأ في الخروج حتى يرويها. السيد ماديسون مثلاً، كان لا يتذكر الاحاديث الهامة التي يريد ان ينقلها لاصدقائه الا بعد وصوله الى عتبة الدار، ولكنه غالباً ما يضفي على حديثه نفحة من العذوبة والحلاوة والجو العائلي. اما الآنسة فاي فراحت كعادتها تبحث عمن يوصلها الى بيتها بسيارته، فوجدت ضالتها المنشودة في السيد ركس، الذي تطوع للقيام بهذه الخدمة قائلاً:

- انا حاضر يا فاي، بشرط ان تعديني بانك لن تخبري ايلين!

وهنا طفق الجميع يضحكون، وتوالى مسلسل الضحك عندما ردت عليه فاي بقولها:

- اعدك بانني لن اقربك على الحب.

وضحكت مع الجميع، ثم اضافت بحسرة:

- آه لو تعلمون كم انا مشتاقة لبراد شريدان!

وتناولتها السيدة ماديسون بملاحظة فيها خبث وخداع قائلة:

- هل لي ان اسألك عن السبب؟ هذا اذا لم يكن فيه احراج لك.

- لا، ابداً. لا احراج فيه ولا من يحزنون. بكل ما في الامر انه كان دائماً ينقلني بسيارته من النادي الى البيت. آه.. لا تسيئوا النية، لم يكن هناك شيء. حبنا كان طاهراً.

- وهذه معجبة اخرى.

علقت السيدة فانهان وهي تبتسم للآنسة كيت، ثم اضافت:

- عجيب امر هذا الشاب اذ يبدو انه ترك اثراً له وذكريات في مختلف مستويات الحياة الاجتماعية في ماهور.

وتدخل السيد ركس في الحديث ليقول:

- سوف نطالب بنقله وعودته الى ماهور اكراماً لخاطرك، يا فاي!

فردت عليه قائلة وهي تبتسم:

- استناداً الى ما قاله لي من المتوقع جداً ان يعود الى ماهور سواء حصلت المطالبة بعودته ام لم تحصل.

وصمتت تتطلع الى وجوه الحاضرين، ثم تابعت تقول:

- نعم، يجوز ان يعود ويقيم هنا بصورة دائمة. انه يفكر بشراء بيت الدكتور ليم القريب من الشاطىء. من يعرفه؟

- انا اعرفه واتذكره جيداً.

ردت الآنسة كيت وصمتت لحظة ثم تابعت:

- كان يملك مستوصفاً هناك قبل بناء المستشفى الجديد.

واستطردت فاي قائلة:

- المهم، براد يعرفه ايضاً واتفق معه على شراء المنزل منه بعد احالته على التقاعد. وان شاء الله تتم الصفقة ويعود براد.

قالت ذلك وخرجت، وتبعها ركس وماديسون وزوجته، وكل واحد يلوح لها بيده مودعاً.

في اليوم التالي كانت ارض مطار ماهور مسرحاً لوداع مؤثر كانت والدة كيت ابرز نجومه. ادهشت الناس بطريقة تعبيرها عن عاطفتها تجاه ابنتها الوحيدة وكأنها كانت تودعها الوداع الاخير وهي تضمها الى صدرها، تجهش بالبكاء وتقبلها، وتهمس في اذنيها كلمات الدعاء والرضى والسفر والعودة بالسلامة:

- مع السلامة يا حبيبة قلبي وقرة عيني. مع الف سلامة. لست اعرف كيف سأعيش بدونك. غيري رأيك يا حبيبتي وعودي معي الى البيت. اسمعي مني وغيري رأيك يا ابنتي اذا كنت حقاً تحبينني.

- امي، يا اعز مخلوق عندي في الدنيا، انني احبك واحبك اكثر من

نفسي. لا يمكنك ان تتصوري كم احبك... هيا ابتسمي لي الآن واعديني بانني لن اطيل الغياب. سأعود قريباً لان شوقي اليك لا يوصف.

- مفهوم يا كيتي، مفهوم، وهل لي احد في الدنيا سواك؟

وصمتت اذ فوجئت بزوجها يطوقها بذراعها وهو يقول لها بحنان:

- كفى يا رفيقة العمر، كفاك بكاء وتحسراً... ابنتنا مسافرة للعمل في لندن وستعود الينا قريباً. لا تخافي عليها، وادعي لها بالسلامة في الذهاب والاياب.

ثم التفت الى ابنته وودعها.

- مع السلامة يا كيتي، والى اللقاء.

وبعد دقائق معدودة اقلعت الطائرة، وكان على متنها ايضاً السيدة فاي التي جعلت رحلة كيت غاية في المتعة والاطمئنان.

توقفت الطائرة في مطار سنغافورة، حيث انتقلت كيت والسيدة فاي الى طائرة اخرى لمتابعة سفرهما الى لندن عن طريق البحرين، بعد استراحة بضع ساعات انتهزتاها لزيارة مصممة الازياء الصينية وابنتها الموهوبة.

وكم دهشت كيت عندما حدثت الفتاة الصينية كيت عن عدم ورود اية عروض اليها من الخارج في اعقاب نشر تصاميمها الرائعة في الصحافة العالمية اثناء معرض الازياء الذي جرى في ماهور، حسبما اوحت لها الآنسة كيت من ان بعض دور الازياء الاميركية ستهتم بتصاميمها وتستدعيها للسفر الى اميركا، فتحقق احلامها الفنية والصحية هناك بفضل امكانيات اميركا الفنية الهائلة ووسائل معالجة الشلل المتوفرة هناك.

وسرعان ما عادت اليها بشاشتها وبسمتها بعدما اكدت لها كيت بانه سيأتيها عرض او اكثر ذات يوم، وما عليها الا ان تصبر. ثم اخبرتها بانها متوجهة الى لندن وستحاول جهدها هناك ان تساعدها

بطريقة من الطرق. فانفرجت اسارير كيم وراحت تعرض عليها رسوم بعض التصاميم الحديثة. ولم تمانع في ان تأخذها كيت معها لتحاول عرضها على دور الازياء التي تتعامل معها، عسى ان تعجبها.

ولم تدع كيم هذه الفرصة الذهبية تمر دون ان تخبر الآنسة كيت عن الهواية الجديدة التي بدأت تمارسها فور عودتها من ماهور الى سنغافورة. اذ اشترت البوماً جمعت فيه الصور التي نشرتها الصحف العالمية عن الازياء التي عرضت اثناء المعرض. كان بينها صورة لنفسها وكيت واقفة بجانبها، واخرى ظهر فيها السيد شريدان وهو يحادث الآنسة فاي، مما اثار في نفسها ذكراه وبدأ قلبها يخفق بضراوة وبصورة متسارعة. كما اخبرتها بانها طلبت من بعض الصحف ان ترسل اليها المزيد من تلك الصور لتضمها الى مجموعتها وهي تتأمل وجه كيت وتبتسم قائلة انها اصبحت تملك ثروة طائلة تحرص اشد الحرص للمحافظة عليها. ثم سألتها:

- يسعدني ان ارسل اليك عدداً من الصور التي سترد في اذا كانت تهمك.

اومأت كيت رأسها بالموافقة وهي تبتسم، والحزن يشع من عينيها. لقد اعجبتها الفكرة واحزنتها في آن معاً. اعجبتها لأنها كانت تتمنى ان يكون لديها صورة او اخرى من صور شريدان. واحزنتها لأنها كانت تغار عليه من فاي وتكره ظهوره معها في صورة نشرتها الصحافة العالمية بحيث يستحيل نزعها من الاذهان بسهولة. وتحسد الثقة التي اولاها لفاي، اذ كشف لها عن مشاريعه المستقبلية وطموحاته، وحياته الخاصة، بينما كان يركز اهتمامه وهي برفقته على امور تافهة، يحاول من خلالها التحري عن طبيعة العلاقات القائمة بين والدها والسيد والت، ويغطي محاولاته بالتظاهر بانه كان يحبها. لكنها عادت واستدركت ان لا شيء يدعوها للأسف عما فاتها، معتبرة التجربة، تجربة خروجها معه، حدثاً عابراً سرعان ما يفقد

اهميته وتنساه حالما تنهمك في الأعمال التي تنتظرها في لندن. وما السيد شريدان سوى شاب وسيم الطلعة، مفتول العضلات، عريض المنكبين، همه الوحيد مطاردة النساء، لا لشيء، الا لاثبات قدرته على الايقاع بهن. وليست هي في نظره سوى واحدة منهن، لم تكن الأولى في حياته ولن تكون الأخيرة.

تلك الهواجس كانت لا تزال تنتابها حينما صعدت كيت الى متن طائرة البوينغ التي ستحملها الى لندن عن طريق البحرين. وزاد في حراجة وضعها كونها مسافرة لوحدها، اذ ان رفيقة السفر السيدة فانهان بقيت في سنغافورة. ولم يكن امامها سوى الاعتصام بالصبر. وهكذا لم تفارقها همومها وهواجسها الا عندما وصلت الطائرة الى مشارف البحرين حيث كانت ستهبط في المطار لتتزود بالوقود، وتتابع الرحلة. تصورت ان الطائرة كانت تحوم فوق ماهور، فأنساها ذلك همومها لبعض الوقت وهي تتأمل الشاطئ، بحثاً عن موقع نادي السباحة في ماهور قبل ان يتبين لها مقدار الشبه الكبير بين طبيعة الشاطئين.

ما ان حطت الطائرة في مطار لندن حتى توجهت منه رأساً الى شقتها الواقعة في احدى الضواحي، وشرعت فور دخولها الشقة باخراج حوائجها من الحقائب ووضعها في الخزانة، وتحضير الملابس الثقيلة التي ستستعملها في لندن لمقاومة البرد والصقيع والضباب. ثم استحمت، وتناولت بعض الطعام الجاهز في الثلاجة. واستلقت على سريرها ترتاح وتتمتع بالدفء والحرارة وهي تقرأ الرسائل التي وصلتها اثناء غيابها.

صحيح ان كيت تلقت عروضاً عديدة ومغرية للاشتراك في حملات للدعاية، وعرض الأزياء، واعلانات التلفزيون، من شركات عالمية. الا انها تريثت في الرد عليها ريثما تشتري لنفسها بعض ادوات الزينة وسواها. في هذه الاثناء اجرت عدة اتصالات بمدير اعمالها للاطلاع منه على آخر المزيات في دنيا الازياء

والدعاية، والتباحث معه في العروض السابقة والمستجدة. كما اتصلت بالبنك الذي تتعامل معه لتسوية اوضاع حساباتها المتضائلة وضرورة تغذيتها ببعض المبالغ. كذلك خرجت ذات ليلة برفقة مدير اعمالها بناء على دعوته لتناول العشاء معاً، بحضور بعض الاصدقاء، تعرفت اثناءها على نجم جديد في عالم الدعاية، يدعى جيرمي اعجبتها وسامته، وجاذبيته، وغناه واعجبته بفضل رشاقتها، ورصانتها، ونشاطها، لدرجة انه دعاها لتمضية عطلة رأس السنة معه عند اهله في منطقة ساسكس.

ومع اقتراب عيد الميلاد بدأت بطاقات المعايدة تصل الى كيت بالعشرات، من اهلها واصدقائها، ومن الشركات التي تتعامل معها، ومن المعجبين والمعجبات بها، بينها بطاقة من السيدة فانهان ضمنتها خبراً ترك اثراً بالغاً في نفسها، لأنه كان عن السيد شريدان. تقول فيه:

- على فكرة، يا كيت، اود ان اخبرك بان السيد شريدان امضى معنا عطلة نهاية الاسبوع. وقد اشترى بيتاً جديداً للاستقرار فيه بعد نقله الى ماهور كي يشغل منصب مدير الدائرة الفنية في الشركة ابتداء من الشهر التالي.

كما كتبت تخبرها عن ان الفتاة [illegible] المشلولة لديها بعض الاخبار السارة التي ستنقلها اليها قريباً.

وكان من السهل عليها ان تدرك اخطاءها الماضية من خلال تصرفاتها غير المعقولة نحو السيد شريدان، عندما اشارت اليه السيدة فانهان، وان بصورة عابرة، لتذكرها بتطور تلك الاحداث التي عاشتها معه في ماهور. وهي تترجح بين الشك واليقين، واذا بها الآن، وبعد ان اكدت لها السيدة فانهان صدق ما رفضت تصديقه في الماضي، تندب حظها وتشتهي لو ان الأمور جرت وفقاً لما كانت تشتهي وتتمنى. ومع ذلك رفضت التوقف عند احداث الماضي وتجاربه القاسية، يراودها الأمل بأن يتطور لقاؤها مع جيرمي الى

اكثر من مجرد علاقة بين صديقين. فقررت تلبية دعوته لتمضية ليلة رأس السنة في بيت اهله في ساسكس، حيث عاشت تجربة هزلية خففت من وطأة المأساة الماضية، نتيجة العرض السخيف الذي عرضه عليها جيرمي بان يمضيا معاً مدة ستة شهور قبل ان يقرر نهائياً ما اذا كان سيتزوجها بصورة شرعية ام لا.

- يا لها من فكرة سخيفة!

ثارت ثائرة كيت ورفضت حتى مجرد التفكير فيها. واضافت وهي تضحك ضحكة ماكرة:

- يا، يا جيرمي، انا لا الزمن باختبارات الزواج... ومن الافضل ان نغير الحديث.

- ولم لا، يا كيت؟ انها فكرة حكيمة تسهل الفراق في حال عدم الوفاق.

- لا يا جيرمي، لا شكراً. الزواج بعد تجربة ستة اشهر؟ من اين جئت بهذه الفكرة؟

- انها فكرتي وهي لمصلحتك انت قبل مصلحتي.

- كذا؟ ولماذا كل هذه التضحية؟

- سميها تضحية اذا شئت ولكنها ليست تضحية فقط وانما واقعية!

- ويا لها من واقعية يا جيرمي! ارجوك الكف عن بحث هذا الموضوع.

- ولماذا كل هذا العجب؟ كل ما في الأمر ان نفسي حدثتني بان الزواج بعارضة ازياء مثلك قد لا ينجح او ان اشغالها الفنية قد تعرقل حياتها الزوجية فخطرت ببالي تلك الفكرة للحيلولة دون تعقيد الأمور في المستقبل.

- الانني عارضة ازياء ظننت انني اختار الرجال كما اختار ثيابي؟ لا، يا جيرمي، انت مخطيء.

- ان موقفك يدهشني يا كيت.

- كنت اتمنى الا يدهشك موقفي بقدر ما يدهشني انا شخصياً.

- لست افهم!

- ليس ضرورياً ان تفهم. المهم ان تنسى موضوع زواجك من عارضة ازياء لا يهمها من امور الدنيا سوى الحب والزواج.

- حاشى لك ان تفكري بامور كهذه.

وصمت وهو يضحك بسخرية، ثم اضاف:

- انا لا اؤمن بكل هذه الأمور.

- هذه هي الحقيقة.

- هل خدعتني، يا كيت! هل هناك رجل آخر. . .

فقاطعته قائلة:

- كلا. ليس هناك اي شخص آخر.

- لا اصدق. . . فلوقاتك تؤكد لي ذلك.

هنا تنهدت بعمق ثم ردت عليه قائلة:

- قل لي، ماذا تسمي رجلاً يعيش في الجهة الثانية من العالم لا هو يريد ان يرى لي وجهاً ولا انا اريد ان ارى له وجهاً؟ هل تسميه شخصاً آخر؟

- اذا كنت تواففين ان ما قلته يحدد تعريفك للشخص الآخر، فان ذلك الشخص حقيقة واقعة. هناك رجل آخر وسيبقى هناك دائماً رجل آخر.

عادت كيت الى لندن وهي تشعر بالكآبة وعقدة الذنب. وتمنت لو انها لم تلبي دعوته لتمضية عطلة العيد معه في بيت اهله، خاصة وان هذه المحادثة اصبحت بالية. وقالت لنفسها: من يظن جيرمي نفسه يكون حتى يعرض علي ان اجري معه تجربة لستة اشهر قبل ان يتزوجني؟ مالي وله؟ توسمت فيه الخير فاذا به اسوأ واحط بكثير مما كنت اتصور. يكفي ما طرحه من افكار ابشع من الرذيلة. يريد ان يجرب العيش معي لستة اشهر، قال، وبعدها يرى اذا كان بامكانه ان يتزوجني ام لا. تباً لك ولثروتك، يا جيرمي.

ومع ذلك فان هذه التجربة الجديدة صدمتها، وخيبت املها

ففكرت بالاتصال بمدير اعمالها واقناعه بتدبير عمل لها في الخارج ولو لمدة شهرين او ثلاثة، لتستعيد نشاطها وحيويتها بعيداً عن اجواء لندن.

ما ان اطلت عليه حتى بادرها بالسؤال:

- هه يا كيت، ماذا لديك من اخبار؟

وصمت يتأمل وجهها المكتئب، ثم اضاف:

- اخبريني، يا كيت، ماذا حدث بينك وبين جيرمي؟ ارجو الا يكون الح عليك بالزواج ليلة رأس السنة!

- ليته فعل! وانما العكس هو الصحيح.

- كيف؟ لست افهم!

- انا كنت تواقة للزواج بينما كان هو شديد اللهفة على. . .

قاطعها وقال:

- كفى، يا كيت، فهمت عليك. لا بأس. الحياة كلها دروس. هل تعشين معي، واعتبري ذلك دعوة رسمية. ما رأيك؟

- اتفق!

- هيا بنا اذن. وهناك نتابع البحث يا كيت. انطلق.

وضع امامها سلسلة من العروض، بعضها جاهز للتنفيذ، وبعضها الآخر ينتظر القرارات النهائية من قبل المنتجين لتنفيذها. كان هم مدير الأعمال يدور حول اقناعها بقبول اي عرض من العروض المطلوب تنفيذها داخل بريطانيا، نظراً لما كانت تتمتع به من مزايا شخصية رفيعة المستوى بالاضافة الى خبرتها الواسعة في مجالات الدعاية الحية والتلفزيونية. ولما وجدتها مصرة على السفر خارج البلاد ولو لفترة شهرين للترفيه عن نفسها ونسيان خيبات الأمل التي تلاحقها الواحدة تلو الاخرى، وافق على انتدابها للقيام بحملة دعاية واسعة النطاق، في طول القارة الاوروبية وعرضها، بما في ذلك المغرب وجامايكا، بشرط ان تستقر بعدها في البلاد. ووعدته خيراً.

يقول المثل: رب صدفة خير من الف ميعاد. وينطبق هذا المثل على اللقاء الذي تم بين كيت والسيد شريدان، هكذا وبدون سابق موعد بالمرة.

حدث ذلك اللقاء عندما كانت كيت تستعد للظهور امام عدسات آلات التصوير لاخراج فيلم دعائي لعرضه على شاشة التلفزيون عن ثوب اصطناعي فريد من نوعه في عالم الملبوسات. كان تنظيفه لا يحتاج الى اي غسيل بالماء والصابون، وانما كان الهواء يقوم بهذه العملية بمجرد نشر الثوب المذكور في الهواء الطلق ليزيل عنه كافة الأوساخ العالقة به خلال فترة قصيرة من الزمن. ويعود نظيفاً ناصعاً كما كان.

كان السيد شريدان جالساً في مطعم بالقرب من شاطىء النهر، حيث كان المخرج والمصورون منهمكين باخراج وتصوير الفيلم الدعائي الذي كانت كيت ستظهر فيه وهي ترتدي مع الثوب المبتكر قبعة واسعة جداً من القش، حاملة بيدها مظلة شمسية بديعة الألوان، وتلوح للناس بيدها الاخرى، مع وثبة بارعة الى الأمام تظهرها كأنها ماشية وهي تبتسم وتغمز بعينها.

بدأ المخرج يعطي التوجيهات للآنسة كيت كي تنزع قبعتها عن رأسها وتلقيها في الهواء وتلتقطها وهي ساقطة وهي تضحك وتبسط ذراعيها، ليقول بعدها لشريكها في الفيلم:

ـ هيا يا سيمون انحن فوقها وكلمها بجدية . . . والآن دورك يا كيت، تجاوبي مع التفاتته نحوك بسرعة وبصورة طبيعية. هيا يا كيت قبل فوات الأوان . . . المصور ينتظر، ماذا بك يا كيت! ماذا جرى! هيا اسرعي فالمصور ينتظرك . . .

لكن الآنسة كيت ترددت في اداء الدور المطلوب منها في هذه اللحظة الحاسمة من المشهد وهي تلمح غير مصدقة ما كانت تراه عيناها، شبح السيد شريدان وهو يقترب من المكان بخطى وئيدة ثابتة، يتأملها بدهشة ولهفة ويقول لها بصوت هامس:

ـ ألم اقل لك بانني الرجل الوحيد القادر على اختطاف لوعة الحنين من صدرك! ألقى بذراعيه نحوها وهو ينحني فوقها بطريقة اذهلت المخرج لدرجة انه امر المصور بالتقاط صورتهما، اذ وجدهما في موقف معبر تماماً، ان لم يكن اكثر، عن المشهد الذي كان يتصوره.

وفيها دار الجدل بين المخرج والمصور وشريك كيت في اداء الدور الدعائي المطلوب، كانت كيت تغرق في الذكريات قبل ان تعود الى رشدها وتدرك مدى الجنون الذي استبد بها خلال الدقائق القليلة الماضية. وقبل ان تنتبه الى السيد شريدان وهو يقول لها:

ـ طلبت مني والدتك ان ابلغك اطيب تمنياتها وتذكرك بانك نسيت خاتمك الماسي في البيت.

ـ صحيح؟ عظيم. كنت اظن انه ضاع. شكراً يا براد على هذا الخبر المفرح.

تحلق الجميع حول شريدان الذي كان لا يزال يطوق خصر كيت بذراعه، فعرفوه بانفسهم الواحد تلو الآخر، ثم دارت بينهم ثرثرة ممتعة حول مشهد الختام الذي اداه شريدان بصورة عفوية وانقذ بذلك عملية التصوير في آخر لحظة.

وبعد استراحة قصيرة تناولوا خلالها بعض المرطبات وقطع الحلوى، غادر المخرج وجماعته المكان. وبقيت كيت جالسة بجانب شريدان كأنها في الحلم.

سألته بنعومة:

ـ اين تقيم؟

ـ هنا في هذا الفندق. اجل!

ـ يا للمفاجأة؟

ـ هيا نبحث عن مكان اكثر عزلة.

نهض فنهضت كيت وسارت في الاتجاه الذي دفعها نحوه وهو يتأبط ذراعها. وصلا الى حديقة الفندق المحاذية لبركة السباحة، حيث اشارت بيدها الى شجرة الورد وهي تقول بأسف:

- انظر كيف تساقط الورود الى الارض!
- ما جئت هنا لكي ابحث معك موضوع تساقط ازهار الورد!
- انت لحقت بي يا براد، والا كيف عرفت انني هنا؟
- يجب ان تدفعي اجرة البرقيات المتبادلة بيني وبين والدتك.
- وكم تظن يتوجب علي ان ادفع؟
- سوف ارى واخبرك. كنت ناشطة الحركة خلال الاسابيع لقليلة الماضية. سمعت انك قمت بجولة في باريس وروما وبون إمستردام وطنجه والرباط.
- نسيت كوبنهاغن!
- كيت!
- لم تصلني اية برقية يا براد، أسفة.
- طبعاً لا. وكيف تصلك وانت دائمة الحل والترحال؟
وصمت يتأملها بشغف ثم تابع يقول:
- اتصلت بوالدتك وطلبت منها ان تبرق الى عمتك لتخبرها عن مكانك بعد ان دفعت سلفاً اجرة برقيتها الجوابية.
- لا تقل ذلك يا براد. صحيح؟
- نعم صحيح، ان لم يكن اكثر.
- ومتى رأيت والدتي؟
- زرت والديك مرة لمدة يومين ونمت في غرفتك.
- صحيح؟
- نعم صحيح وشعرت كأنني واحد من افراد العائلة.
- براد، كنت افكر بك طوال الليل.
احمرت وجنتاها وطفق قلبها يخفق بقوة، واضافت:
- ولم يخبرني احد عن ذلك، من تظن نفسك تكون؟ وهل ستطعت ان تنام لحظة في غرفتي؟ الم تزعجك الكوابيس؟
- كلا، يا كيت، لا كوابيس ولا من يحزنون. التفكير بك طوال لليل اعطاني مناعة ضد جميع انواع الكوابيس.

- وشعرت بنفسك كأنك في بيتك، أليس كذلك؟
- نعم، ولكن بفضل الاستقبال الحار الذي لقيته من والديك.
- تقصد انني لم استقبلك الاستقبال نفسه؟
- سأعطيك الجواب بعد ان ارى كيف سيكون استقبالك لي.
صمت يتأملها وهو يضع ذراعه حولها، ثم اضاف:
- لقد تحملت فوق طاقتي شتى انواع الضيافات الخاصة بك، يا كيت!
- اذن لماذا جئت ولماذا تطاردني بعد؟
- جئت لكي اسألك سؤالاً ولن اذهب قبل حصولي على الجواب. والذي ارجو ان يكون بالايجاب.
- جواب على ماذا؟ وهل من الضروري ان تسألني اسئلة؟
- نعم، ضروري ان اسألك سؤالاً لا غير، وهو: لماذا كنت تفرين مني كلما حاولت التودد اليك وانماء التفاهم فيما بيننا؟
- انك تؤلمني يا براد. كان يشدد الضغط على يدها.
- سوف اوجعك اكثر اذا لم تكفي عن تعذيب قلبي بتهربك مني وصدي.
- ما هذا الجنون المفاجئ؟! دعني! اتركني اذهب!
دفعته عنها بيديها محاولة الافلات من الطوق المضروب حولها.
- ليس قبل ان اسمع جوابك. قولي بالله عليك، لماذا تهربين مني؟ ولماذا تنكرين لمشاعرك ومشاعري في آن معاً؟ لا تنكري يا كيت! انا مقتنع بانك تحبينني بقدر ما احبك، ان لم يكن اكثر. فلماذا كل هذا الصدود والهروب من الحقيقة؟ آن لك ان تعترفي بالحقيقة ولو مرة واحدة في حياتك.
- كلا، غير صحيح. ابتعد عني، ارجوك ان تتركني وشأني.
- آه منك يا كيت! ماذا تريدين مني ان افعل كي احظى بحبك واحترامك؟
واذا بلهجته اللطيفة المفاجئة تحطم آخر سلسلة في حلقة مقاومتها

ومواقفها المتصلبة، وتجعلها اضعف من ان تصمد، او ان تستطيع كبت مشاعرها الدفينة نحوه. فجأة وجدت نفسها تعانقه بصورة لا شعورية، وهي تهمس في اذنه قائلة:

- ألم تعرف؟ كنت اظنك تعرف الانتصار الذي حققته في الجولة الأولى. آه، لماذا اعدت الكرة؟ بحق السماء، قل لي لماذا عدت؟

- يجب ان تعرفي. عدت لأنني لم استطع العيش بدونك يا حبيبتي!

- صحيح؟

لم تصدق ما سمعته. الى ان وصل ايقاع كلامه الى وعيها، فاستبدت بها النشوة، وراحت تتأمله بعينيها الحالمتين اللتين اغرورقتا بدموع الفرح وهي تسأله بشوق ولهفة:

- صحيح يا براد، انك...

وتوقفت الكلمات في حلقها كأنها عجزت عن النطق من شدة الفرح والبهجة. ثم تابعت:

- احقاً تعني ما تقول؟

- تماماً. كدت اجن يا كيت في الشهور الثلاثة الماضية، من فرط شوقي وحنيني اليك. كنت افكر بك ليل نهار حتى عيل صبري فرحت ابحث عنك كي اراك ثانية واشفي غليلي.

ومع ذلك، كانت لا تريد ان تصدق، وصارت تهز رأسها وهي بين مصدق وغير مصدق، ثم رفعت يدها ولامست بها خده، وهي تقول بانفعال:

- انت... انت تقول انك تحبني!

- آه، لو تعرفين كم احبك! ارجو ان يأتي يوم تعرفين فيه مقدار حبي لك يا كيت. لكنني اشك في ذلك لأن حبي لك هو من العمق بحيث لا يمكن سبر غوره بسهولة. ما زلت انتظر جوابك.

ولما لم تحر جواباً، تجاهل الموضوع وقال:

- هيا بنا نمشي قليلاً للتفريج عن نفسينا بعد تلك الجولة الصاخبة من الجدل والعتاب.

وهكذا نهضا وسارا في الطريق التي سلكاها سابقاً، وهي متأبطة ذراعه، تشعر بالدفء والطمأنينة بجانبه كما لم تشعر من قبل. وبعد مسيرة قصيرة، استمهلته وراحت تتأمله بفرح. قالت له بصوت ناعم رخيم:

- انني احبك يا براد. احببتك منذ اللحظة الأولى لكنني لم اجرؤ على البوح لك بحبي اذ كنت اعتقد بأنك لا تهتم الا بجمع المعلومات عن والت مارلو و...

- و... ماذا؟

- ومجرد الاستمتاع بمغامرة عابرة...

- ولماذا تظنين يا كيت؟ لا يا كيت، كنت اريدك ان تصبحي شريكة حياتي. ولكنك لم تعطني الفرصة الكافية لاثبات هذه الحقيقة، اذ كنت تتهربين مني دائماً.

- كنت احاول الابتعاد عنك قدر الامكان لأنني كنت اخاف منك يا براد. لا تلمني اذ كنت خائفة منك على مستقبل والدي، الى ان ظهرت الحقيقة وبراءته من كافة الأمور التي كانت تلوح في افق ماهور مهددة بالسوء.

- اطمئني يا كيت.. لا خوف بعد اليوم، لا على حبنا ومستقبلنا، ولا على سعادة وكرامة ومستقبل والدك، بعد ان ظهر الفاعل الحقيقي لكل تلك المشاكل والمتاعب... تعرفينه، طبعاً. انه السيد والت بعينه.

وتبع ذلك الاعتراف بالحب المتبادل في جلسة مصارحة امتدت لساعات، تخللتها احاديث عن والت والنهاية المفجعة التي اوصلته الى السجن، وعن انتحار ليلى، والفتاة الصينية الموهوبة، والمركز الجديد الذي سيحتله في شركة ماهور كمدير للدائرة الفنية، والبيت الجديد الذي اشتراه هناك، وزواجهما المنتظر في المستقبل.

ولم يخف عليها ارتيابه بالعلاقة التي كانت قائمة بين والت ووالدها يوم وصوله الى ماهور للتحقيق في حقيقة اسبابها ودوافعها. لكن

التحقيقات التي اجراها حول علاقتهما كانت كفيلة بجلاء الحقيقة، والكشف عن المجرم الحقيقي. واصبح والدها في مأمن من تهديدات والت ومحاولات ابتزازه التي لم تكن الا من نسيج خياله، كي يتجنب شر والدها الذي كان الوحيد بين موظفي الشركة الذي يعرف عن المخالفات التي كان يرتكبها والت وتلاعبه بقيود المحاسبة.

اما ليل، فقد عاشت مقهورة وماتت مقهورة، اذ نشأت في بيئة فقيرة جاهلة، وترعرعت على ايدي والدين يتخاصمان ويتشاكسان بصورة دائمة. وزاد في سوء حظها انها لم تتزوج الرجل المناسب لها هذا هو قدرها.

ثم اخبرها عن محاولات السيدة فانهان اليائسة لتسفير الفتاة الصينية الموهوبة الى امركا وامكانية معالجة شللها واعادة املها في الحياة، في حال نجاح المعالجة. كما اخبرها عن اهتمام بعض الشركات اليابانية باعمالها الفنية والعروض المغرية التي تلقتها منها لتزويدها بمجموعة من تلك الأعمال بغية ادخالها في بعض برامج الدعاية عن اجهزة الترانزستور والتلفزيون والآلات الحاسبة.

طال الحديث بينهما وتشعب. وكان حديثاً من القلب الى القلب بين شخصين اتفقا على الزواج بعد كل تلك المعاناة والتجارب المريرة التي عاشاها معاً، وذاقا مرها وحلوها. فلم يترك شريدان نقطة غامضة الا واوضحها، ولم تترك كيت سؤالاً الا وطرحته عليه، بغية تنقية الأجواء بينهما وازالة كافة الشوائب التي كانت تكتنف علاقتهما الماضية. حدثها عن والت، وعن مخالفاته وتلاعبه بقيود الشركة، وعن مطاردته له، والتحري عنه بكافة الطرق المتوفرة. وعن ارتيابه بامكانية تورط والدها معه في تلك الانتهاكات، وعن انتحار ليل.

وقبل ان يتنقلا الى تبادل الانخاب احتفالاً بالعثور على حبهما الضائع، وعلى الثقة المتبادلة التي كانت تتأرجح بين الشك واليقين، طلبت كيت منه ان يوضح لها سبب اصراره على مرافقتها في تلك الرحلة التي كانت تنوي القيام بها في تلك الليلة المشؤومة، فتأملها

طويلاً ثم اجابها والبهجة تشع من عينيه:

- كنت خائفاً عليك يا كيتي، اذ ادركت بحدسي انك ذاهبة لمقابلة والت فتشبثت برأيي للذهاب معك كي احميك منه.

قال ذلك وعانقها استجابة لذراعيها الممتدة نحوه بصورة عفوية.

وفي اليوم التالي شهد مطار لندن وداعاً بين شخصين احبا بعضهما حباً تتوجه الثقة المتبادلة والتصميم على الزواج، والعمل معاً يداً بيد في سبيل بناء مستقبلهما على اسس قوية مستقيمة لا تزعزعها العواصف والاعاصير مهما كانت قوية وشديدة. كانا يعانقان بعضهما وسط ذهول الناس ودهشتهم، بحرارة وشوق، ويتهامسان قائلين: «الى اللقاء يا حبيبي، الى اللقاء يا حبيبتي، قريباً ونلتقي، سنلتقي قريباً يا حبيبتي، ولن يطول الغياب». اختلطت دموع فرحتهما بامواج خصلاتها الحالكة الناعمة، بعد ان فرقتهما الأيام وكادت ان تبعدهما عن بعضهما الى الأبد.